بئر الحرمان

إحسان عبد القدوس

النـاس والظـروف

أنا طبيب نفسانى .. مشهور .. ولكى تتأكدوا من شهرتى .. اسألوا مصلحة الضرائب ..

والطب النفسى عندى هواية ، قبل أن يكون مهنة.. فن .. كالرسم ، والموسيقى ، والقصص .. والإنسان عادة من هواة الأنين .. أننا نهوى صوت عبد الحليم حافظ لأن فيه أنينا .. ونهوى قراءة القصص الحزينة لأنها تملأ صدورنا بالأنين ، وتشد الدموع من عيوننا .. إن الإنسان إن لم يحزن على نفسه بحث عن شخص آخر يحزن عليه ، أو تخيل نفسه بطل إحدى القصص المؤثرة ، وتحمل ما يعانيه البطل من عذاب ، وتألم ، وحزن .. وأنا أهوى أنين مرضاى ، وليس معنى ذلك أنى أتلذذ بعذابهم .. أبدا .. ولكنى أعيش فى عذابهم .

ومرضاى لهم قصص عجيبة .. قصص الإنسانية عندما تتعرى من ثيابها ، وترفع عن وجهها القناع .. القناع الذى يفرضه علينا المجتمع .. ثم تبدو النفس البشرية كما هى .. غابة كثيفة موحشة .. تنتصب فيها أشجار مفزعة .. شجر الخوف ، وشجرة الأنانية ، وشجرة الحقد ، وشجرة الحيرة .. و .. و .. وتحت أقدام الأشجار زهور رقيقة تحاول عبثا أن تصل إلى نور الشمس .. زهرة الحب .. وزهرة الأمومة .. وزهرة التعاون

الاجتماعى .. و .. و .. وعملى هو أن أجوس خلال هذه الغابة ، وفى يدى مصباح خافت الضوء ، لأكتشف أشجارها المفزعة ، وهضابها ، وبراكينها .. وأحرص على ألا أطأ بقدمى إحدى هذه الزهور الرقيقة ، بل أحنو عليها وأتعهدها حتى تشب وتصل إلى نور الشمس ..

وقد فكرت أن أنشر بعض مذكراتى .. بعض الحالات التى مرت بى ، واكتشفتها .. لا لأسلى بها القارىء .. ولكن فقط لأثبت نظرية أن الظروف هى التى تصنع الناس ، وليس الناس هم الذين يصنعون الظروف .

(طبق الأصل)

إحسان عبد القدوس

قد تعتقدون أنه يكفى أن يذهب المريض إلى الطبيب النفسانى مرة أو مرتين ليتم شفاؤه .. وهذا خطأ .. إن الطبيب النفسى أشبه بالرجل الذى يحاول أن يحفر بئرا بملقاط حواجب .. وأنا أحاول أن أحفر بئرا فى نفس كل مريض يدخل عيادتى حتى أصل إلى أعماقه .. إلى عقله الباطن ، لاستخرج الجرثومة التى ترقد فيه والتى تسبب له مرضه .. وليس فى يدى من أدوات الحفر إلا هذا الملقاط الصغير الذى صنعه علماء النفس على مر الأجيال .. وهى عملية تستمر شهورا ، وقد تستمر سنوات .. وقد تستمر مدى الحياة .. حياة المريض ، وحياة الطبيب .

وصحيح أن هناك طائفة من المرضى يكثرون من التردد على العيادات النفسية ، لمجرد التزود بجرعة من الراحة بين يدى الطبيب ، دون أن يكون مرضهم يستدعى هذا التردد ، بل قد لا يكونون مرضى على الإطلاق .. إنما هم يعانون مشكلة فراغ حياتهم .. ومشكلة ادعاء مرض وهمى .. ثم مشكلة حب الظهور .. فإن الطب النفسى أصبح موضة ، كفندق هيلتون .. وكثيرون ــ وخاصة النساء ــ يترددون على عيادة الطبيب النفسى ، كما يترددون على كافتيريا هيلتون .. ويخرجون من

هذه ليحكوا لأصدقائهم ماذا قال لهم الطبيب .. وماذا قالوا له ، تماما كما يحكوا ماذا رأوا فى الكافتيريا .. وأحيانا يصل التردد على عيادة الطبيب النفسى، لدى بعض الناس ، إلى حد الإدمان .. فكما يدمن الخمر ، أو الأفيون ، أو المورفين .. يدمن أيضا الطبيب النفسى .. وكل هذه الأصناف من الناس لا أشغل وقتى بها ، ولا اسمح لها بالتردد على عيادتى ، بل أتنازل عنها إلى أطباء أصغر منى ، وأقل رغبة منى فى العمل الجدى .

ولكن هناك حالات جدية ، استغرق علاجها سنوات طويلة.. وسأروى لكم قصة « حالة » استمر علاجها ثلاث سنوات كاملة ، عقدت خلالها مع المريض ٢١٢ جلسة ، بمعدل كل أسبوع جلستين .. ولم أصل إلى علاجها إلا فى الجلسة الثانية عشرة بعد المائتين .

وطبيعى أنى لن أستطيع أن أروى لكم كل التفاصيل .. أو ما سجلته فى مذكراتى من أعراض هذه الحالة ، وإلا كان معنى ذلك أن أظل اكتب لكم ثلاث سنوات .. وهذا كثير ، خصوصا وإنى أعلم أنكم تقرأون قصصى لمجرد التسلية ، لا لتكونوا علماء مثلى .

ولذلك ، فسأكتفى بتلخيص الحالة لكم .. تلخيصا قصيرا سريعا ..

●●●

لا اذكر أنه مرت بى مريضة ألحت فى مقابلتى مثلما ألحت ناهد هانم .. لقد اتصلت بمساعدى فى العيادة ، وطلبت تحديد موعد ، فحدد لها موعدا بعد أسبوع .. فقد كان النظام الذى وضعته لعملى يقضى بألا استقبل أكثر من خمسة مرضى فى

اليوم .. حتى لا أظلم المرضى ، ولا أظلم نفسى .. وعندما طلبت ناهد هانم تحديد موعد .. كان وقتى كله مشغولا لمدة أسبوع ، ولكنها ألحت .. وثارت فى وجه المساعد .. ولكنه صمم على ألا يحدد لها موعدا قبل أسبوع .. ولم تعجز ناهد .. اتصلت ببيتى فى التليفون ، وعندما لم تجدنى حادثت زوجتى ، وألحت عليها.. ألحت إلى حد البكاء.. وليس من عادة زوجتى أن تتدخل فى عملى ، ولكنها إذا تدخلت فإنى يجب أن أخضع ، بلا مناقشة.. وقد خضعت ، اضطررت فى نفس اليوم أن أزيد ساعات عملى ساعة أخرى ، لأستقبل ناهد .

ودخلت إلىّ ..

ورفعت عينى إلى سيدة صغيرة حسناء .. عيناها صغيرتان فيهما بريق ضاحك نشط ، كبريق عينى فتاة مراهقة فى الخامسة عشرة من عمرها .. وشفتاها عريضتان.. وذقنها دقيق .. ووجنتاها بارزتان كثمرتى تفاح.. وكانت تبتسم . وتحاول أن تقاوم ابتسامتها لتبدو جادة ، فلا تستطيع .. ولون بشرتها أبيض يميل إلى الاصفرار .. وشعرها أسود غزير، يبدو أنها قضت وقتا طويلا فى محاولة عقصه وتسريحه، ثم فاجأها الملل والضيق ، فتركته قبل أن تنتهى منه.

وقد قلت لكم - فى القصة السابقة - أن النظرة الأولى لها أهمية كبيرة عندى ، لأنها تحدد التأثير الخارجى للشخصية.. وكان التأثير الذى تركته ناهد من النظرة الأولى، إنها ضعيفة الشخصية .. وإنها مريضة .. وبقى أن أعرف مرضها ..

وجلست إلى مكتبى وأنا جامد الوجه ، لا أظهر لها اهتماما ، ولا أظهر لها عدم اهتمام .. وامسكت بالقلم وبدأت اسألها

الأسئلة المعتادة .

اسمها ناهد فخر الدين ..

عمرها ٢٧ سنة ..

عاشت مع أمها وأبيها ، وتثقفت ثقافة إنجليزية فى «الانجليش سكول» ثم التحقت بكلية الآداب ، جامعة القاهرة .

متزوجة ، ومضى على زواجها عامان .. وهى سعيدة فى زواجها .. وقد بدأت تتحدث عن زوجها دون أن اسألها عنه.. إنه ملاك .. رقيق .. مهذب .. يحبها .. يعبدها .. و .. و..

وقاطعتها قبل أن تتم حديثها عن زوجها ، لأسألها عن أعراض الحالة التى تشكو منها ، والتى دفعتها إلى الالتحاق إلىّ.. وقالت ، وهى تشعل السيجارة الثانية منذ دخلت إلىّ ، وقد بدأت يدها ترتعش قليلا :

— عصبية خالص يا دكتور .. باتخانق كتير من غير سبب.. وتفوت أيام ما اتخانقش .. ويمكن شهور .. وبرضه من غير سبب .. وساعات يتهيأ لى أنى بأعمل حاجات من غير ما أدرى .. يتهيأ لى أنى خرجت من البيت ، إنما أبقى مش عارفة إذا كنت خرجت صحيح ، ولا ما خرجتش .. وحاجات كتير ما افتكرهاش .. نوبة لقيت فستانى مقطوع .. قطع كبير.. حاولت افتكر امتى انقطع ، وازاى .. ماعرفتش .. ونوبة لقيت جرح كبير فى كتفى .. حاولت افتكر انجرحت امتى .. ماقدرتش ..

وثار اهتمامى بناهد .. عرفت أنى أمام حالة مثيرة خطيرة ، ولكنى أخفيت عليها اهتمامى ، وسألتها :

— لما بتنسى حاجة ، ولا يتهيأ لك حاجة .. مابتسأليش حد

من اللى فى البيت ؟

قالت :

ـــ بسألهم .. سألت سميرة الخدامة .. إيه اللى قطع فستانى .. ماعرفتش .. سألت البواب يوم ما اتهيأ لى إنى خرجت من البيت .. وطبعا سألته سؤال ملفوف .. قلت له : أنا خرجت النهار ده الساعة كام يا عم عثمان ؟ فقال لى إنى ماخرجتش .. ما شافنيش خرجت .

واكتفيت بهذا المقدار من الأسئلة ، وسجلت فى مذكراتى :

« غيبوبة متقطعة » وفقدان ذاكرة متقطع ... »

ثم دعوتها لترقد على الأريكة ، وجلست خلف رأسها اسجل كل كلمة تقولها .. وروت لى قصتها .. روتها فى أكثر من عشرين جلسة .. ولم تكن ترويها مسلسلة منسقة ، بل كانت ترويها فى حوادث متقطعة .. قد تبدأ من النهاية، وتنتهى إلى البداية.. وقد تبدأ فى رواية حادثة، وقبل أن تتمها تنتقل إلى حادثة أخرى .. وهكذا .

وهذه هى قصتها .. أقصد خلاصة القصة ..

ولدت ناهد من أبوين هادئين .. أبوها هادىء وأمها أكثر هدوءا ورقة ، وإن كانت تميل إلى الحزن .

وقد دللها أبوها فى طفولتها ، ولكنه كان يخاف عليها.. كان يراقبها دائما .. وكان يتقصى أنباء صديقاتها فى المدرسة ، وعائلاتهن ، ويذهب بنفسه ليقابل مديرة المدرسة، والمدرسات.. ليسألهن عن سلوكها، وعن تصرفاتها .. ثم لما انتهت من دراستها الثانوية .. وافق أن تدخل الجامعة .. وقال لها يومها : إنى أريدك أن تنالى الليسانس ، وتعملى ، حتى

تعتمدى على نفسك ، ولا تحتاجى فى حياتك إلى رجل .

ومنذ دخلت الجامعة والأب يصر على أن تذهب إليها بالسيارة ، وأن ينتظرها سائق أسمر ، مشرط الوجنتين ، اسمه.. سليمان .. حتى يعود بها .. لم يعد مسموحا لها أن تخرج من البيت ، إلا فى السيارة وتحت رقابة السائق سليمان .

وفى الجامعة التقت بهشام .. أول حب لها .. أحبته بكل خيالها .. وبكل شبابها .. وبكل طهارتها .. وبكل سذاجتها.. وأحبها .. لم تكن أبا تشك فى حبه .. ولم يكن لهما نصيب من حبهما إلا لقاءهما داخل أروقة الكلية .. قد يضع يده فى يدها وهما يسيران .. فى حديقة الجامعة .. وقد يهمس لها بكلمة .. وهذا هو كل شيء .. لا شيء أكثر من ذلك .. وسليمان السائق ينتظرها بالسيارة ، حتى إذا انتهى اليوم الدراسى ودعت حبيبها بنظرة .. وسلمت نفسها لسجانها سليمان ليعود بها إلى البيت .

وظل حبها يتنفس فى هذا العالم الضيق طوال أربع سنوات الدراسة .. ثم .. بعد أن انتهت من امتحان الليسانس ، ذهبت يوما إلى الكلية لتسأل عن النتيجة وهناك التقت بحبيبها .. وأحس كل منهما أنه لن يرى الآخر بعد اليوم .. لقد انتهت الجامعة .. فأين يلتقيان .. كيف السبيل إلى لقاء ، وهى لا تخرج من بيتها إلا تحت رحمة سليمان السائق .. ولم تكن تطيق أن تحرم من حبها بهذه البساطة .. وإذا كان هذا اليوم هو آخر أيام اللقاء ، فليكن يوما جميلا .. وكان كل ما تريده فى هذا اليوم الجميل هو أن تتزود من حبيبها بقبلة تعينها على انتظاره.. قبلة واحدة .. قبلة طالما نبض بها خيالها .

واتفقت مع حبيبها على أن تخرج معه من الجامعة ..

وذهبت إلى سليمان تتوسل إليه.. قالت له بصراحة إنها ستخرج مع هشام .. نصف ساعة .. نصف ساعة فقط .

ورقّ لها قلب سليمان ، واتفق معها على أن ينتظرها بالسيارة فى مكان قريب من البيت إلى أن تنتهى من لقاء حبيبها.

وصحبها حبيبها إلى بيته .. قال لها إنه يريد أن يقدمها إلى أبيه وأمه .. وأن يقول لهما إنها خطيبته .. ولكنها لم تجد فى البيت لا أباه ولا أمه .. هما وحدهما .. واسلمت له شفتيها ليلمسهما بالقبلة التى انتظرتها طويلا .. القبلة التى انتظرتها أربع سنوات .. ولكنه لم يكتف منها بالقبلة .. أخذ كثيرا .. أخذ كل شىء .. لم تعد عذراء .

وخرجت من عنده ..

وعادت إلى سليمان الذى ينتظرها بالسيارة قريبا من البيت، ولم تستطع أن تتمالك نفسها .. فبكت .. بكت أمام سليمان .. ورأى سليمان دموعها ، ورأى اصفرار وجهها ، ورأى ثوبها المكرمش .

ولكنه لم يتكلم ..

وعادت إلى البيت لتعيش فى انتظار أن يتقدم لها هشام ليتزوجها .. وذهبت فى خلال هذه الفترة إلى لقائه مرتين .. لا .. ثلاث مرات .. وسليمان يصحبها دائما ويقف بعيدا بانتظارها..

ولكن هشام لم يتقدم إلى أهلها .

وفى يوم .. عرض سليمان عليها خبرا منشورا فى جريدة .. لقد سافر هشام إلى أوروبا لإتمام تعليمه .

سافر دون أن يخبرها .. دون أن يودعها .. هرب منها ..

وبكت .. بكت كثيرا .. على كتف سليمان .. وروت له كل شىء .. كل ما حدث لها .. وسليمان يحاول أن يخفف عنها ، ويهون من مصابها :

— ما تعيطيش يا ست ناهد .. بكره يرجع بالسلامة .. وتتجوزوا .. هو حيلاقى أحسن منك .

وأصبحت لا تطمئن إلا إلى سليمان .. إنه الوحيد الذى يشاركها سرها .. الوحيد الذى تستطيع أن تبكى أمامه .. وتشكو له .. وتطلب منه العون .. وكانت تخرج معه كثيرا فى سيارة العائلة .. وتجلس بجانبه فى المقعد الأمامى .. ويتحدثان دائما عن هشام الخائن .. وعن مصيرها .

ولكن سليمان بدأ ينظر إليها نظرات عجيبة .. ووجهه الأسمر الداكن المشرط الوجنتين ، يلمع كأنه يفح النار .. وهو يلتقط يدها ويضغط عليها .. ثم يمد يده إلى عنقها .. وإلى جسدها .. وهى تحاول أن تنكر وساوسها .. لا .. لا يمكن أن يطمع فيها هذا الخادم الأسود .

ولكنه يطمع فيها ..

وهو يقترب منها بوجهه .. وتحس كأنها تسقط وسط الخطوط العميقة التى تشرط وجهه .. إنه يريدها .. وهو يأخذها .. وهى لا تستطيع أن تقاوم .. كيف تقاوم وهو يحمل سرها ويستطيع أن يهددها به ..

وأصبحت لسليمان ..

تحت أمره ..

ومرت شهور كثيرة .. ثم تقدم لها شاب ليتزوجها .. ووافق

أبوهـا .. ووافقت أمها .. وبقى أن تـوافق هى .. وهى تـريد أن توافق .. تـريد أن تتزوج .. وهذا الشاب يمكـن أن يكون زوجا رائعـا .. إنه شـاب نـاجح .. وهو وسيم .. أجمل من هشـام .. ويبدو رقيقا مهذبا كامل الشخصية .

ولكن كيف تستطيع أن تتـزوجـه ، وهى مصـابـة .. وهى جريحة .. وهى ليسـت عذراء .. ولجأت إلى سليمان .. وطمأنها سليمان .. ولا يهمك .. ستتزوجين .

وصحبهـا إلى طبيب أجـرى لها عمليـة .. وأصبحت عـذراء مزيفة .

وتزوجت

واقسمت يـوم زواجها أن تكـون مخلصة لـزوجها .. مهما حـدث ، ستبقى دائما مخلصة لـه .. ستتـوب .. إنها زهقت من القـذارة التى أحـاطت بحياتها .. وأنها تحن إلى النظـافـة .. إلى الستر .. إلى راحة الضمير .

ولكن ..

لقـد أصر والـدهـا عقب زواجهـا أن يهديها سيـارة .. وأن يهديها أيضا .. سليمان .. ليكون سائقـا خاصا لها ، كما تعود أن يكون سائقا لها طول حياتها .

لا .. لا أريده ، ولا أريد السيارة .

ولكن والـدها يصر .. وزوجهـا يتعجب لـرفضها الهديـة .. وهـى لا تستطيـع أن تتكلـم . لا تستطيـع أن تطلعهـم على مصيبتها .. فسكتت .. وقبلت الهدية .

وعاش سليمان فى حياتها بعـد الزواج .. كما كان يعيش قبل الزواج .. يأخذها عندما يريدها .

وعاشت لرجلين : الزوج .. والسائق ..

ثم ..

جاء إليها سليمان يوما بالجريدة .. وأشار لها إلى خبر منشور .. لقد عاد هشام من أوروبا .

وحاولت ألا تهتم .. ماذا يهمها لو عاد ، أو لو مات . لقد خرج من حياتها .. ولم يعد له مكان فيها .. إنها حياة مزدحمة.. يزحمها الزوج ، وسليمان .

ولكن ..

لقد اتصل بها هشام فى التليفون .. إنه يريد أن يلقاها .. وهو يهددها بإفشاء سرها .. ولا تستطيع أن تتحدى تهديده ، خوفا أن يضيع منها زوجها .. وذهبت إلى لقائه .

واشتد الزحام فى حياتها .

أصبحوا ثلاثة .. الزوج .. والسائق .. وهشام .

●●●

هذه هى القصة التى روتها لى ناهد فى أكثر من عشرين جلسة ، وهى مكتوبة فى مذكراتى فى أكثر من مائتى صفحة .

ولم آخذ هذه القصة على علاتها .. لم أصدقها كما روتها لى ناهد .. لقد صدقت أن فى حياتها ثلاثة رجال .. ولكنى لم أصدق الطريقة التى وصلت بها إلى هؤلاء الثلاثة .

كان أول ما ألاحظه على قصة ناهد أنها لم تتحدث عن أمها كثيرا .. وعندما كانت تتحدث عنها كانت تصفها أحيانا ، بأنها «ست غلبانة » .. دون أن تبدى سبب اقتناعها بأنها «غلبانة»..وعلى العكس ، كانت تتحدث كثيرا عن أبيها .. وكانت تفخر به .. وتفخر بتدليله لها .. وتبالغ فى سرد صور هذا

التدليل ، رغم أنها كانت تعترف بأنه يشتد فى مراقبتها إلى حد لايسمح لها باختيار صديقاتها إلا بعد أن يطمئن إليهن .. وقالت لى يوما:

— ماما دايما تقول على بابا إنه ملاك

ورغم ذلك فهى لم تذكر سببا واحدا يجعل أمها تصف أباها بأنه ملاك .. لم تتكلم عن العلاقة بين أمها وأبيها .. بل كانت تهرب دائما من مواجهة هذه العلاقة .. وعندما كنت أواجهها بأسئلتى لتتحدث عن هذه العلاقة ، كانت تحتار .. وكانت تبدو صادقة فى حيرتها .. وسجلت فى مفكرتى :

« عواطف مهتزة ناحية الأب والأم .. وغموض فى العلاقة بينهما .. »

ثم ..

لاحظت أن ناهد تدافع كثيرا عن شرفها .. وتحاول أن تجد أسبابا مفتعلة لزلاتها .. ولم يكن معقولا ـ فى قصتها ـ أن تحب هشام لمدة أربع سنوات وهى طالبة فى الجامعة ، دون أن تتبادل معه قبلة واحدة .. وإذا كانت قد استطاعت أن تخرج معه بعد أن نالا الليسانس ، فقد كانت تستطيع أن تخرج معه قبل الليسانس .. بل إنى أرجح أنها زلت مع هشام فى العام الأول من التحاقها بالجامعة .

وقد تحدثت ناهد كثيرا عن مقاومتها لسائقها سليمان .. وعن عذابها به .. وعن تقززها منه .. وعن حكمة الله التى ألقت عليها هذه المصيبة .. ورغم ذلك فقد كان يبدو فى دفاعها أنها تحاول أن تقنع نفسها وتقنعنى به ، أكثر مما تروى الحقيقة ، ثم لماذا استسلمت له إذا كانت تخاف على شرفها إلى هذا الحد ؟

إذا كانت تخاف تهديده ، فقد كانت تستطيع أن تسكته بأى وسيلة أخرى .. أن تعطيه مالا .. أو بعض مصاغها .. أو تجازف وتشكوه لأبيها ، وتدعى أنه يفتعل القصة التى يهددها بها .. خصوصا وأنه ليس سهلا على الفتاة أن تستسلم لرجل يختلف عنها فى اللون ، وفى الطبقة .

ثم عودتها مرة ثانية إلى هشام بعد رجوعه من أوروبا .. لقد عادت إليه فعلا .. ولكن ليس بنفس الأسباب التى ذكرتها .. فإنه من غير المعقول أن يطلعها السائق على خبر عودته مادام عشيقها .. ليس من صالحه أن يدخل فى حياتها غريم قديم .. ثم إذا كان هشام قد اتصل بها فى التليفون ، فإنها كانت تستطيع أن ترفض دعوته دون أن تخشى تهديده ، فهو أولا شاب من شباب المجتمع ، وعائد من أوروبا ، ولا بد أن فى حياته كثيرا من البنات مما يغنيه عن ناهد .. ثم إنه شريك فى الجريمة التى يهددها بها ، ولابد أنه حريص على إخفائها أكثر منها .

وقادنى هذا البحث ، إلى نتيجة تكاد تكون محققة .. وهى أن ناهد هى التى أغرت السائق بنفسها ، وهى التى بدأت بالاتصال بهشام بعد عودته من أوروبا .

وكتبت فى مذكراتى :

« شذوذ جنسى ... »

ورغم ذلك فكل ما سمعته منها وكل ما استنتجته حتى الآن لا يمكن أن يؤدى إلى نتيجة تعيننى على شفائها .. إن الشذوذ الجنسى واضطراب العاطفة تجاه الأب والأم ، لا يكفيان للوصول إلى الحالة التى تشكو منها ناهد .. حالة فقدان الذاكرة

المؤقت ، والغيبوبة المتقطعة .

ولكنى ركزت جهودى كلها على بحث هذين الموضوعين .. الشذوذ الجنسى ، والعلاقة بين أبيها وأمها من ناحية ، وبينهما وبين ابنتهما من ناحية أخرى .

ووضعت أمامى احتمال أن تكون مصابة بمرض عضوى.. أى مريضة فيسولوجيا .. فإن هناك نوعا من إلتهابات الغدد تؤدى إلى الانحراف الجنسى .. فأرسلتها إلى طبيب أمراض نسائية ومعها خطاب مكتوب باللاتينى حتى لا تفهم ما فيه .. وجاءت نتيجة الكشف سلبية .. إنها ليست مريضة مرضا عضويا .. أى أن انحرافها الجنسى هو نتيجة عقدة نفسية ..

وفى نفس الوقت بدأت أواجهها بأسئلتى لتتحدث عن أمها وأبيها .. ولكنها لم تكن تقول أبدا شيئا هاما .. كانت تهرب ـ رغما عنها ـ من مواجهة هذه الناحية من حياتها .. وكانت تثور أحيانا وتصرخ :

— مش عارفة .. مش عارفة .. أنت مالك ومال بابا وماما .. أنت بتعالجنى ولا بتعالجهم .

وكنت اسألها دائما ، وفى كل مرة ، عما إذا كانت قد مرت بها الحالة التى تشكو منها .. حالة فقدان الذاكرة المؤقت .. كنت اسألها :

— مش حاسة إنك عملتى حاجة ، ومش فاكراها .

وكانت تجيب :

— يجوز .. مين عارف .. أنا دايما بأحس أنى بأعمل حاجات ومش فاكراها !!

ومر أكثر من عام دون أن أصل منها إلى شىء .

وكان كل ما يحول بينى وبين الاستسلام لليأس، هو أنها تواظب على مواعيد حضورها إلى العيادة .. وأنها جاءت إلىّ بنفسها لأول مرة .. ومعنى ذلك أنها تحس أنها مريضة ، وأنها على استعداد لتتعاون معى على الوصول إلى شاطىء الشفاء .

ثم ..

جاء اليوم الذى كشفت فيه عن جرح ناهد .

كان موعد زيارتها لى .. الساعة الثانية عشرة ظهرا .. وكنت جالسا إلى مكتبى اسجل بعض المذكرات عن المريض الذى انتهيت من استقباله .. ودخلت ناهد وأنا لازلت مشغولا بالكتابة .. لا أرفع رأسى إليها .. وشممت رائحة عطر عنيف غريب تتسلل إلى أنفى وتقترب منى شيئا فشيئا .. فرفعت رأسى ورأيتها .

امرأة أخرى ..

امرأة أخرى تماما ..

كانت ترتدى ثوبا أحمر يكشف عن نصف صدرها .. وقد لطخت وجهها كله بأصباغ ثقيلة فاقعة .. وتركت شعرها مهوّشا فوق رأسها ، وخصلة كبيرة منه تتدلى فوق جبينها .. وعيناها الصغيرتان تلمعان ببريق شارد قوى .. البريق الذى اعرفه .. بريق الجنون .. وشفتاها منفرجتان نصف انفراجة كأنها تتأوه .

ولم أستطع أن أسيطر على نفسى ..

غلبتنى المفاجأة ، وامتلأ وجهى بالدهشة ، وهمست :

— ناهد ..

وبقيت جالسا على مقعدى مذهولا لا أستطيع أن أتحرك ..

واقتربت منى ، وهى تتقصع فى خطواتها ، وتقذف رد فيها ذات اليمين واليسار .. ثم انحنت فوق مكتبى ، وقربت إلىّ وجهها .. حتى بدأ شعرها يرف على وجهى ، وقالت فى صوت كالفحيح :

— بتحب ناهد ؟!

واستطعت أن أتمالك أعصابى ، وأن أتغلب على المفاجأة ، واجمع تفكيرى فى مراقبة حالتها .. ولم أصدها .. استسلمت لها ، حتى اكتشف مدى الأزمة التى تعانيها .. وابتسمت لها فى هدوء .. وقلت :

— فيه حد ما يحبش ناهد ..

واقتربت منى أكثر .. ثم دارت بجسدها حول المكتب ، وألقت جسدها فوقى .. جلست على ركبتى .. وقالت بصوتها المخنوق :

— كل الناس بتحب ناهد مش كده .. كل الرجالة عايزينها.. أنا مثيرة .. أنا باجنن الرجالة .. مش كده .

ثم قربت شفتيها من شفتى .. وهمت أن تقبلنى .. والبريق فى عينيها يشتد .. وأنفاسها تتهدج فى حشرجة .

وامسكت بها ورفعتها من فوق ركبتى ، ثم انتفضت واقفا ، وأنا ممسك بها من كتفيها ، وأخذت أهزها بعنف ، واصرخ فى وجهها :

— ناهد .. ناهد ..

واشتد الجنون فى عينيها ، وانكشفت شفتاها عن أسنانها ، كأنها تهم بأن تعضنى ، وقالت وهى تصرخ صراخا أعلى من صراخى :

— أنت مش عايزنى .. أنا مش عاجباك .. مش ممكن .. مش

ممكن اسيبك .. لازم .. لازم .

ومدت ذراعيها تحاول أن تتعلق بعنقى .. وقربت وجهها من وجهى لتنقض بأسنانها على شفتى .

وعدت اصرخ ، وأنا اهزها بعنف ، وأحاول أن أبعدها عن وجهى ، وعيناى مسلطتان على عينيها :

— ناهد .. قولى ورايا .. أنا ناهد فخر الدين .. أنا بنت محمد فخر الدين .. أنا مرات سمير فهمى .. قولى ورايا يا ناهد ..

ولكن يبدو أنها لم تكن تسمعنى .. أنها لا تزال تصرخ :

— مش عايزنى ليه .. حرام عليك .. لازم .. لازم ..

وأغلب نظريات العلاج النفسى ، لا تقر وسيلة العلاج بالعنف .. ولكنى فى هذه اللحظة قررت أن أكون عنيفا .. كنت أريدها أن تفيق من ا لأزمة التى تعانيها حتى ترى نفسها وهى فى هذه الحالة .. كان العنف هو الوسيلة الوحيدة أمامى .. لم أكن أستطيع أن استسلم لها ، ثم اتركها تخرج .. ولم أكن استطيع أن أطردها من العيادة وهى فى هذه الحالة .. كنت أريدها أن تفيق من حالتها هذه أمامى .. لعلنى أستطيع فى فترة ضعفها أن أصل إلى عقدتها .. ولم يكن أمامى إلا العنف .. فرفعت كفى ، وبكل قوتى ، صفعتها ..

ووجمت برهة ، وهى تائهة العينين كأنها لم تحس بالصفعة ، ثم حاولت أن تهجم علىّ مرة أخرى .. وهى لا تزال تصرخ :

— أنت مش عايزنى ليه و ..

وصفعتها صفعة ثانية .. ثم صفعة ثالثة .. بكل قوة ..

وسقطت على الأرض تحت قدمىّ وأخذت تنظر إلىّ بعينين

متسعتين .. كأنها بدأت تفيق .. تفيق من الشخصية الثانية .

وظلت تـاهـد تنظـر إلىّ بعينيهـا المتسعتين الـواجمتين ، وأنفاسها تلهث كأنها تعود من مشـوار بعيد قطعته جريا .. ثم بـدأت رموشهـا تهتز هـزات سريعة فـوق عينيها .. ثم أخـذت تتلفت حـواليهـا كأنها لا تدرى أين هى .. ثـم عادت تنظـر إلىّ كأنها تسألنى .. ثم نظرت إلى نفسهـا .. إلى ثوبها الأحمر الذى يكشف عن نصف صدرهـا .. وشهقت شهقة حادة .. واسقطت رأسها على الأرض ، وأخذت تبكى بكاء عنيفا ، يكاد يمزقها .

وتركتها تبكى .. واتجهت إلى مكتبى ، وكتبت فى مذكراتى :

« ازدواج الشخصية .... »

ثم عـدت إليها ، وأنـا جامـد الوجـه لا يبدو علىّ دهشـة ولا تأثـر.. ورفعتهـا مـن على الأرض ، وارقـدتها على الأريكـة ، وجلست خلف رأسهـا ، وفى يـدى القلم والورق .. وكلى انتبـاه إليها .. وانتظـرتها أن تتكلم .. ولكنها لا تتكلم .. إنها تبكى .. لا تكف عن البكـاء .. وقررت أن أسـاعـدها على الكـلام ، قبل أن تنتهى نوبة الضعف التى تمر بها .. وسألتها :

ــ عملتى إيه النهارده الصبح ؟

ولم ترد .. ظلت تبكى ..

وعدت أكرر السؤال فى صـوت حازم ، وأنا أحاول أن اسلط عليها كل شخصيتى :

ــ عملتى إيه النهارده الصبح ؟

وهزت رأسهـا فوق الأريكة هـزات عنيفة ، وأخـذت تردد فى صوتها الباكى :

ــ مش عارفة .. مش عارفة .. مش عارفة حاجة !

قلت فى قوة :

ـــ لأ .. انتى عارفة .. افتكرى كويس !

قالت كأنها تشد كلماتها من تحت صخر :

ـــ رحت .. رحت عند ماما !

وسألتها :

ـــ عملتى إيه عند ماما .. اتكلمتم فى إيه ؟

قالت وهى تنهج :

ـــ ما تكلمناش .. كانت بتعيط !

قلت وأنا ألاحقها قبل أن تخمد ذاكرتها :

ـــ كانت بتعيط ليه ؟

قالت فى صوت ضعيف لاهث :

ـــ ما اعرفش .. ماما دايما بتعيط .. بتعيط كتير !

قلت :

ـــ من امتى .. امتى كانت أول مرة شفتيها بتعيط ؟

ـــ زمان .. زمان خالص .. من أيام ما كنت صغيرة .. دايما ماما بتعيط .. دى ست غلبانة ..

قلت :

ـــ تفتكرى بتعيط ليه ؟

قالت :

ـــ ما اعرفش .. ما اعرفش ..

وعادت تشنج بالبكاء ..

وعدت اسألها فى الحاج يبلغ حد القسوة :

ـــ وبعد ما سبتى ماما .. رحتى فين ؟

قالت :

— ما اعرفش ..

قلت :

— لا .. انتى عارفة .. افتكرى .. افتكرى كويس ..

قالت فى استسلام ؟

— رجعت البيت ..

قلت :

— عملتى إيه فى البيت ؟

واشتد تهدج أنفاسها ، وامتقاع لونها ، وقالت كأنها يئست من نفسها :

— ما اعرفش .. مش فكرة حاجة .. مش فاكرة ..

قلت :

— الفستان الأحمر جبتيه منين ؟

وغطت وجهها بكفيها ، وقالت :

— ده فستان قديم .. قديم قوى .. كنت فاكره أنى رميته من زمان ..

قلت :

— انتى كنتى شايلاه فى البيت .. كنت شايلاه فى أى حتة ..

قالت :

— ما اعرفش .. ما اعرفش أبدا .. مش فاكره حاجة .. أنا تعبانة .. تعبانة.

ومالت رأسها على جانب الوسادة .. وسقطت مرة واحدة فى النوم ، كأنما أغمى عليها .. نوما ثقيلاً ، تتحشرج خلاله أنفاسها.

وتركتها تنام .. لم أكن أستطيع أن ا فعل شيئا آخر ..

وبعد نصف ساعة .. حقنتها بحقنة منشطة .. وأخذت أهزها وأربت على صدغيها برفق ، حتى رفعت جفنيها عن عينين مكدودتين .. وقامت من فوق الأريكة ، متثاقلة تعبة .. ونظرت إلىّ نظرات خجلة ، ثم أرخت عينيها ، ووقفت أمامى صامتة وهى ترفع يدها لتخفى لحم صدرها الذى يطل من خلال ثوبها الأحمر .

ولم أكن أستطيع أن أقسو عليها أكثر من ذلك .. وسألتها :

— العربية معاكى ؟

قالت فى خجل :

— مش عارفة ..

وأرسلت مساعدى ليبحث عن سيارتها ، وعاد يقول إن السيارة ليست موجودة .. وهو ما كنت أرجحه .. ثم أرسلت مساعدى معها إلى أن ركبت سيارة أجرة حملتها إلى بيتها .

وكنت اعلم أن أول ما ستفعله ناهد عندما تصل إلى البيت ، هو تمزيق ثوبها الأحمر ، والقاءه فى مكان لا يمكن أن تصل إليه يدها بعد ذلك .

وكان لهذه الحادثة أثر هام فى تكييف علاجى لناهد ..

لقد اكتشفت أولا ، أنها تعانى من ازدواج الشخصية ..

واكتشفت أن الشخصية الثانية تتقمص ناهد عادة عقب مواجهتها لمأساة أمها .

واستطعت أن أتصور تطورات الأزمة التى تنتابها .. إنها ـ عقب مواجهتها لمأساة أمها ـ تفقد الإحساس بشخصيتها الظاهرة ، وتنتقل رويدا رويدا إلى الشخصية الثانية التى تنطلق من أعماقها .. من عقلها الباطن .. وتبدأ تحس بجوع

جنســــى عنيف .. وتقف أمام المرآة تتزين كما تتزين أى امرأة عاهــرة تتعمد إثــارة الرجال .. ثــم تتسلل من بيتها وتخرج إلى الشارع تبحث عن رجل .. لا يهم أن يكون هذا الرجل هو سائق سيارتها .. سليمان .. أو حبيبهــا .. هشام .. إنها تبحث عن أى رجل ، يطفىء أزمة جــوعها الجنسى .. ثم تعــود إلى بيتها دون أن يراها أحد ، وتخلع ثوبها الأحمر ، وتغسل وجهها .. وتنام .. نومــا عميقا .. تسترد خــلاله شخصيتهــا الأولى .. وتصحو من النوم وهى جاهلة تماما بما فعلته .. وقد تجد على جسدها آثارا غــريبة .. وتحاول أن تتــذكر كيف لحقت بها هــذه الآثار ، فــلا تستطيع .

وهــذه الشخصيــة الثــانيــة التى تنتــاب المرضى بــازدواج الشخصيــة .. هى عــادة شخصيــة لها عقــل حــاد الــذكــاء .. تستطيع أن تــدبــر جريمــة قتل كــاملــة .. وتستطيع أن تضع مشروعا معقدا قد لا يتصوره العقل العادى .. ولا شك أن ناهد ، عندمــا تتقمصها شخصيتهــا الثانيــة ، تستطيع أن تجد دائما وسيلة لكى تخرج من بيتهــا وتعود إليــه دون أن يراهــا أحد .. ولــذلك لم يشعر زوجهــا ولا أبــوها ، ولا أمهــا .. بهذه الحالات الشــاذة التى تنتابها .

وبقى أن أعرف :

— لماذا تتجه شخصية ناهد الثــانية اتجاها جنسيا .. أو ما هى العــلاقــة ــ فى هــذه الحالــة ــ بين ازدواج الشخصيــة ، والشذوذ الجنسى ؟

ثم ..

مــا هى مأســاة أم نــاهــد ؟ إنها لاشك مأســاة تتعلق أيضا بالناحية الجنسية ؟

ولم يكن يهمنى أنا أن أعرف الإجابة على هذه الأسئلة .. بل كان كل ما يهمنى هو أن تعرفها ناهد .. أن تواجه هذه الأسرار بعقلها الواعى .. أن أنبش فى أعماقها حتى ارفع ما يرقد فى عقلها الباطن ، إلى عقلها الواعى .. ولو استطعت هذا ، لتم لناهد الشفاء .

وقوى أملى فى الشفاء .. عندما جاءت ناهد فى موعد الجلسة التالية .. لم تحاول أن تهرب من العلاج .. جاءت مستسلمة ، خجلة ، وفى عينيها استجداء ، كأنها تتوسل إلىّ أن أشفيها ..

ورقدت على الأريكة ، وبدأن تتكلم من تلقاء نفسها .. قالت :

— أنا قطعت الفستان الأحمر .. ودخلت المطبخ وحرقته بالجاز .. حتى الطباخ استغرب واضطريت أقول له إن الفستان فيه ميكروبات .. وصحيح فيه ميكروبات .. فيه فضايح .. أنا مش عارفه إيه اللى بيحصل لى يا دكتور .. أنا باعمل كده ليه .

ولم أرد عليها ، بل سألتها :

— وعملتى إيه كمان بعد ما رجعتنى البيت ؟

قالت :

— دوّرت على قزازة البارفان اللى كنت حاطه منه .. قلبت أودتى .. قلبت البيت كله .. مالقتهاش .. أنا مش عارفه جبت البارفان ده منين .. مش عارفه .. مش قادره افتكر .. اعمل إيه يا دكتور ؟

قلت :

— دورى على القزازة كمان .. افضلى دورى عليها لغاية ما تلاقيها .

وكنت أعرف أن زجاجة البارفان مخبوءة فى مكان من البيت لا تعـرفه إلا الشخصيـة الثـانية التى تتقمـص ناهـد .. وكنت اعتقد أن نـاهد إذا انشغلت بـالبحث عن الـزجاجة فـإن فى هذا تنشيطا لعقلهـا الواعى ممـا يجعلها أكثـر مقاومـة للشخصية الثانية .

وطلبت من ناهد أن تستمر فى الكلام ..

وإذا بها تعود إلى ترديد قصتها التى روتها لى مرارا .. قصة اغتصـاب حبيبها هشـام لها .. وقصة استسـلامهـا لسائقهـا سليمان بعد أن هـددها بفضح عـلاقتها مع هشـام .. ثم قصة زواجهـا وكيف أخـذهـا سليمان إلى طبيب ليجـرى لها عمليـة بكارة مـزيفة .. ثم حياتها بعد الـزواج ، وهى تستسلم للزوج ، وللحبيب ، وللسائق ..

واستمرت تـروى هذه القصة من جـديد .. دون أن تحاول أن تواجه طفولتها وتتحدث عنها .. غاية ما كانت تصل إليه هو الحديث عن أيامها فى مدرسة « الانـجليش سكول » .

وأجريت عليها تجربة جديدة .. فاجأتها بسؤال :

— تفتكرى بابا زعلان من ماما ليه ؟

والتفتت إلىّ لفتة حادة وقالت :

— أبدا .. عمرهم ما زعلوا من بعض .

قلت فى إصرار :

— لا .. زعلـوا من بعض .. وانتى عـارفه أنهم زعـلانين من بعض .. افتكرى كويس ..

وسكتت قليلا .. وقد عقدت مـا بين حاجبيها ، كأنها تحاول أن تشد شيئا من أعماقها ، ثم قالت فى حدة :

— أبدا .. أنا ما اعرفش أنهم زعلانين مع بعض .. ده عمر بابا ما دخل أودته ينام إلا بعد ما يطمئن على ماما .

ولاحقتها بسؤال :

— بابا بينام فى أوده لوحده ؟

قالت :

— أيوه ..

قلت :

— ليه .. مابينامش مع ماما فى أوده واحدة ليه ؟

قالت :

— وفيها إيه .. ناس كتير متجوزين وبيناموا كل واحد فى أوده ..

قلت :

— وأنتى وجوزك بتناموا كل واحد فى أوده ..

قالت :

— لا .. بنام مع بعض ..

قلت :

— وليه ماما وبابا مش زيكم ؟

قالت :

— ما اعرفش .. أنا جوزى عايز كده .. جوزى صنف تانى غير بابا ..

وزاد اقتناعى بأن عقدة ناهد تسببت عن العلاقة بين أبيها وأمها.. واستنتجت أن ناهد هى التى أصرت على أن يكون لها ولزوجها غرفة نوم واحدة ، كرد فعل عكسى على الحياة التى تعيشها أمها وأبوها .

ولكن ناهد لم تستطع أن تقول أكثر من ذلك ..

لم تستطع أن تواجه طفولتهـا وتستخرج منها عقدتها التى تسببت عن العلاقة بين أبيها وأمها ..

ومرت جلسات كثيرة ونحن ندور فى حلقة مفرغة .. دون أن أصل إلى شىء جديد .

وكنت أعتقـد أن ناهـد بعد أن واجهت شخصيتهـا الثانيـة، ستستطيع أن تقاوم هـذه الشخصية أكثر .. وإن النـوبات التى تنتـابها ستقل وتتبـاعـد .. كما أن بحثها عن زجـاجـة العطـر سيظل عنصرا منشطا لعقلها الـواعى بحيث تستطيع أن تقاوم أكثر ..

ولكن .. حدث العكس ..

انها لم تجد زجاجة العطر ..

وخوفهـا من الشخصية الثـانية التى واجهتهـا فى عيادتى، جعلها تندفع إليها وتضعف أمامها ..

إن المثل العامى الذى يقـول «اللى يخاف من العفريت يطلع له» هو قاعدة نفسية صحيحة يعترف بها علم النفس فى مبادئه الأولية .. وقـد خافت نـاهد من شخصيتهـا الثانيـة إلى حد أن استسلمت لها .. فأصبحت تنتـابها النـوبات دون حـاجـة إلى مـواجهـة مأسـاة أمهـا .. أصبحت تنتـابها بـلا سبب.. وبـلا مقدمات ..

وساءت حالتها ..

وكنت ألاحظ سوء حـالتها فى إزدياد امتقاع لـونها ، ونحول جسدها ، وشرود عينيها .. وكـانت تشكو .. وتبكى.. وأنا حائر .. قـاصر عن مساعـدتها .. أتألم لها إلى حد أنى لم أكن أنـام إلا

وصورتها بين عينىّ ..

وجاءت يوما ..

وما كادت تدخل الىّ حتى رفعت ذيل ثوبها ، وكشفت عن فخذها أمام عينىّ ، وهى تصرخ :

— اتفضل شوف .. باعمل فى نفسى ايه .. وما تسألنيش لانى مش فاكرة .. مش فاكرة مش فا ا ا ا ا كرة ..

ورأيت على فخذها خرابيش عميقة .. خرابيش اظافر رجل.. لابد أنه رجل متوحش ..

ولم أتكلم ..

ازداد احساسى بعجزى ..

وسقطت ناهد على المقعد الموضوع أمام مكتبى ، واندفعت تبكى .. ثم قالت من خلال بكائها :

— أنا لازم أدخل مستشفى .. أنا مجنونة .. حطنى فى مستشفى المجانين ..

وبدأت أفكر فعلا فى إرسالها إلى مستشفى «بهمان» لتكون هناك تحت الرقابة .. ولكنى كنت أعلم أن دخولها المستشفى ، إذا كان يحول دون اندفاعها فى نوباتها ، إلا أنه لا يساعد على التعجيل بشفائها ..

●●●

وقررت أن اتجه اتجاها جديدا فى أسلوب العلاج ..

أرسلت مساعدى إلى السائق سليمان ، ليطلب منه أن يأتى إلى مقابلتى بعد أن يوصل ناهد إلى بيتها ، ودون أن يخبرها بأنى استدعيته ..

وجاء سليمان ..

أسمر فى لون الليل .. مشرط الوجنتين .. فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره .. لم يكن الرجل الذى تصورته .. ليس غليظا ولا وقحا كالصورة التى رسمتها لسائق سيارة يعتدى على سيدته ويهددها بفضح سرها .. كان وسيما .. هادئا .. مهذبا .. جلس أمامى منكس العينين ، معقد الجبين ، كأنه يحمل معى هم مشكلة ناهد ..

وقلت له :

— أنت عارف أن ست ناهد عيانة ، وانى بعالجها ..

وقال وهو يتنهد :

— عارف يا افندم :

قلت :

— تعرف انها حكت لى على كل حاجة ؟

وبهت سواد لونه قليلا ، وقال وهو ينظر إلىّ :

— والله ماعرفش يا افندم حكت لسيادتك على إيه ؟

قلت كأنى افاجئه :

— حكت لى إنك بتهددها بإفشاء سرها مع هشام ، وإنك بالطريقة دى قدرت تعتدى عليها ، وتستمر فى علاقتك معاها ..

ولم يهتز ..

لم يبد عليه انه فوجىء ..

وسحب تنهيدة عميقة من صدره ، كأنه يخفف من حمل ثقيل ، ثم قال :

— أنا حاحكى لسيادتك على كل حاجة .. لأنك دكتور .. ويمكن الشفا يتم على أيديك .. أنا ما كنتش أعرف أن ست ناهد هانم مجنونة .. قصدى عيانة .. صحيح انى لما كنت باوصلها

الجامعة ، كنت باشوفها بتتصرف تصرفات عجيبة .. إنما كل البنات بتتصرف تصرفات عجيبة .. ماخطرش على بالى انها يمكن تكون عيانة .. لغاية فى يوم من مدة تلات سنين كنت راجع بالعربية لوحدى من مصر الجديدة ، عن طريق شارع فاروق .. كانت الساعة حداشر الصبح .. ووصلت إلى ميدان العتبة الخضرا .. وبابص ، لقيت ست ناهد هانم واقفة على الرصيف بتتكلم مع واحد افندى شكله ماعجبنيش .. افندى وسخ .. وكانت ست ناهد لابسة فستان أحمر ، وحاطة أحمر وابيض .. وواقفة مش على بعضها .. استعجبت .. ووقفت بالعربية جنبها .. ونزلت فتحت لها الباب ، وقلت لها ، اتفضلى.. ماردتش علىّ .. والافندى اللى معاها شتمنى .. فانحمقت وشتمته .. هجم علىّ علشان يضربنى ، رحت ضاربه، وفضلت أضرب فيه لغاية ما وقع على الأرض .. والناس اتلمت .. وست ناهد ، واقفة تبص لى نظرات عجيبة ، وتبتسم .. بتضحك .. وراحت جاية وشدتنى من أيدى ، وهى بتقول «ياللابينا قبل العسكرى مايبجى» .. وركبت جنبى .. وسقت العربية .. وسألتها أطلع على فين .. طلبت منى أن أطلع على سكة الفيوم .. اندهشت .. لكنى سمعت كلامها .. وطلعت على سكة الفيوم .. وفى السكة قربت منى .. ولزقت نفسها فىّ .. وأنا مندهش .. ولما طلعنا فى الخلا ، اتشعلقت فى رقبتى وباستنى .. حاولت أن أقاومها .. لكنها كانت مش طبيعية .. فضلت تبوس فىّ .. وأنا سايق .. وطلبت منى أن أخش فى الصحرا .. عند مدينة الخيام .. وبعدين طلبت منى أقف .. وهجمت علىّ .. وهى بتقول «أنت بتحب ناهد كل الرجالة

بيحبوا ناهد .. وعايزين ناهـد» .. وماقدرتش أقاومها .. ما اعرفش حصل لى ايـه يـومهـا .. يمكن الخنـاقـة اللى اتخانقتهـا كـانت فى اعصابى .. استسلمت لست ناهد .. عملت اللى هيه عايزاه..

وسكت سليمان ، وأخرج منديله كأنه يهم بالبكاء ، ثم قال :

— أنا لحم ودم ياسعادة البيـه .. ما كانش ممكن استحمل أكتر من كده ..

قلت :

— وكانت بنت ؟

قال وهو يطاطىء رأسه :

— لا .. ما كنتش بنت ..

قلت :

— وبعدين .. حصل ايه ؟

قال :

— رجعتهـا البيت .. وطلعت نـامت .. وبعـد الظهـر ركبت معايا ، علشان أوصلها إلى صاحبتهـا .. كانت واحدة تانية غير اللى كانـت معايا الصبح .. بصـت لى زى ما يكون مـا حصلش حاجة بيننا .. وفضلت أنـا ساكت .. ومرت أيام كتير وهى مش سـائلة فىّ .. ولا معبرانى .. إنما أنـا من يومهـا ما بقتش قـادر استحمل .. كنت عايزها .. كنت باحبهـا .. أنا باحبها من أيام ما كـانت بنت صغيرة .. وكان ممكـن أفضل أحبها على طـول من غير أمل ، لـولا اللى حصل بيننا فى أول يـوم .. خلانى بعـد كده مش قـادر أنام .. لغـاية مـا حصل يـوم ، كانت راكبـة معايـا لوحـدها .. كنـا راجعين من الجامعة .. ورحت طـالع على سكة الفيـوم .. زعقت ، وقـالت لى «رايـح فين؟» زى مـا تكـون مش

فاكرة حاجـة .. وضحكت فى سرى ، قلت لها : «حانروح مشوار صغير» .. وفضلت تزعق طـول السكة .. لغاية مـا وصلنا نفس الحتة .. وقفت العـربية ، ونـزلت وقعدت جنبهـا ورا .. حاولت ابوسـها .. راحت ضربانى بـالقلم .. اتجننت .. وابتديت امسكها بالقوة، وقلت لها : «انتى فاكرانى خدامك .. اشمعنى الدور اللى فـات رضيتى لى» .. أول مـا قلـت لها كـده .. فتحت عينيهـا فى وشـى زى مـا تكـون بتـدور على حـاجـة مش فـاكـراهـا .. واستسلمت .. استسلمت وهى بتعيط .. ومن يـومها مـابقتش تقاوم .. بقينا نروح عندى فى البيت .. من غير ما تقول حاجة ..

وسكت سليمان قليلا ، وخيل إلى ليمسح دمعة انسكبت على خده الأسود ..

وقلت له :

— ما شفتهاش بعد كده بالفستان الأحمر ..

ورفع عينين محدقتين إلى ، وقال :

— ابدا يـا افندم .. كنت بـافضل واقف قدام البـاب علشان أشوفها وهـى خارجة بالفستـان الأحمر ده زى ما شفتها أول يـوم .. لكن مافيـش فايـدة .. كنـا كلنا نبقى فـاكـرين انها فى البيت.. ونـدور عليها نبص نـلاقيها مش مـوجودة .. خـرجت ازاى .. ما حـدش يعرف .. راحت فين ما حدش يعـرف .. ومرة واحدة نبص نلاقيها نايمـة فى سريرها .. ازاى رجعت ما حدش يعرف .. حاجة تجنن ..

قلت :

— وهشام ..

قال :

— كانت تعرفه قبل ما يحصل بيننا حاجة .. وكان لازم بتروح له .. انما أنا ما كنتش أعرف ..

ولم يكن يهمنى أن أعرف قصة ناهد مع هشام .. كان يكفينى قصتها مع سليمان .. وهى قصة تبدو منطقية .. فقد استسلمت له ناهد لأول مرة وهى متقمصة شخصيتها الثانية.. ثم استسلمت له مرة ثانية عندما قال لها انها استسلمت له أول مرة .. فهى تعلم انها تأتى بتصرفات عجيبة عندما تنتابها النوبة ..

تصرفات لا تذكرها عندما تفيق .. ولكنها تجد آثارها على جسدها .. فلما قال لها سليمان أن من بين هذه التصرفات انها استسلمت له .. خافت منه . وضعفت شخصيتها أمامه .. واستسلمت له مرة ثانية .. وارادت أن تغطى ضعفها ، فأقنعت نفسها بأنها استسلمت له أنه يهددها بإفشاء سرها مع هشام ..

وانتقلت بسليمان إلى موضوع آخر .. الموضوع الاهم .. سألته :

— ما تعرفش حاجة عن العلاقة بين البيه والد ناهد والست بتاعته ..

ورفع إلىّ سليمان عينيه كأنه يتعجب لهذا السؤال ، ثم احنى رأسه وقال :

— والله علاقة مش تمام ..

قلت :

— بيتخانقوا كتير .. مش كده ؟

قال :

— أبـــدا .. عمرى ما سمعتهم بيتخانقوا .. إنما عمرهم ما خرجوا مع بعض .. فيه حاجة كده مش مظبوط ..

قلت :

— انت مش بتشتغل عند البيه من زمان ..

قال :

— من عشر سنين .. إنما ما قدرتش أعرف حاجة .. كل اللى اعرفه انهم مش تمام مع بعض .. الست دايما حزينة وتعبانة.. ومـابتخرجش من البيت أبـدا .. يمكن مـرة كل شهر .. تـروح تزور أهلها .. والبيه دايما يخرج لوحده ..

وغرقت فى اليأس ..

وقـام سليمان منصرفـا ، دون أن أصل من خـلالـه إلا إلى مزيـد من الشرح لحالة ناهد .. لم أصل منـه إلى ما يعيننى على علاجها ..

ويئست ..

اعتقدت إنى لن أصل أبدا إلى شفاء هذه الحالة ..

ولكن نـاهد لا تـزال تتردد على العيـادة فى مـواعيد منتظمـة.. لم تخلف أبدا موعدا .. وحالتهـا تسوء ، والنوبات التى تنتابها — نوبـات الشخصية المزدوجـة — تزداد ، وتتـوالى.. إن الشخصية الثانية التى ترقد فى عقلها البـاطن تكاد تأكل شخصيتها الواعية.. وهى دائما تتوسل إلىّ .. تتوسل أن أشفيها ..

ماذا أفعل ؟

لقد تركتها جلسات طـويلة متعددة دون أن اتخذ أى خطوة جديدة.. اتركهـا ترقد على الاريكة وتتكلم كثيرا دون أن أصل إلى جديد ، ودون أن أمنحـها شيئا إلا قسطا ضئيلا من الراحة ..

وأخيرا قررت ..

سأتصل بوالدها ..

وكان هذا قرارا خطيرا .. فليس من كرامة الطب — خصوصا الطب النفسى — أن يفشى الطبيب سر مريضه .. وخصوصا مثل هذا السر .. سر ناهد .. وخصوصا أيضا إذا افشيته لوالدها .. ثم انى لم أكن أعرف كيف يمكن أن يتصرف هذا الوالد بعد أن يعرف سر ابنته .. ربما تصرف تصرفا يسيىء إلى حالتها أكثر ، بل ربما كان فى تصرفه ما يقتلها ..

وكان علىّ أن أجازف ..

فى فترات اليأس ، ولا يجدى شىء إلا المجازفة ..

ولم أكن أعرف السيد محمد فخر الدين والد ناهد ، ورغم ذلك اتصلت به بنفسى فى التليفون ، وطلبت منه أن يتفضل بزيارتى فى عيادتى .. ودهش السيد فخر الدين وألح علىّ فى معرفة سبب دعوتى له ، ولكنى أقنعته بأن هناك أمرا خطيرا يهمه .. ولم أقل له أنه موضوع يخص ابنته .. وقبل الدعوة ، وربما قبلها لمجرد أنه يعرف انى طبيب مشهور ، يهمه أن يتعرف بى .. وحددت له موعدا فى الساعة التاسعة مساء بعد انتهاء مواعيد مرضاى ..

وجاء ..

وأطلقت عليه النظرة الأولى ، فلم استرح له .. انه رفيع طويل يبدو فى الستين من عمره .. ناعم أنيق ، ولكن تحت مظهره الناعم قسوة تفضحها عيناه ، وتحت اناقته حذر وشك تكشف عنهما ابتسامته الناعمة ..

واستقبلته كعادتى ووجهى خال من كل تعبير .. ومرت بى

لحظات سريعة أيقنت خلالها أن كل ما اعددته من أسلوب استدراجه فى الحديث ، لن ينفع ، وإن من الأجدى أن أواجه هذا الرجل الحذر بالحقيقة كاملة حتى أضعه أمام الأمر الواقع ..

وقطعت عليه كلمات النفاق التى يزجيها إلىّ ، وقلت فى بساطة كأن الأمر لا يهمنى أكثر مما يهمه :

— أنا طلبت أشوف سيادتك بخصوص بنتك ناهد هانم .. مريضة .. وحالتها خطرة .. وأنا محتاج لمساعدتك ، علشان نتعاون على شفائها ..

وفوجىء مفاجأة ضخمة .. وارتفع حاجباه من الدهشة.. وقال فى تلعثم :

— ناهد . ناهد عيانة ؟

قلت :

— وفى حالة خطرة ..

قال وهو لا يزال غارقا فى الدهشة ..

— وجت لحضرتك ..

قلت :

— أيوه .. بتتردد على العيادة من أكتر من سنتين ..

قال :

— عجيبة .. ما قالتش لى ..

قلت :

— ما كنش ممكن تقول لك ..

قال :

— وعيانة بأيه ؟

قلت :

— لسه ما اعرفش .. ولا هى تعرف .. انما سيادتك تقدر تساعدنا على اننا نعرف مرضها ..

قال :

أساعدك أزاى .. إذا كانت هى ما تعرفش ، ولا أنت تعرف ، أبقى أنا اللى حاعرف .. دى حاجة عجيبة .. عجيبة قوى ..

قلت وأنا لا ألتفت إلى تعليقه :

— لو سمحت .. أنا عايزك تحكيلى عن طفولة ناهد .. كل حاجة عن طفولتها من يوم ما اتولدت ..

وتقلص وجهه ، وقال كأنه يشتمنى :

— والله يا دكتور ، مع احترامى لك أنا ما أؤمنش بالكلام ده اللى بتسموه علم نفس .. وأنا مش مصدق أن ناهد عيانة .. تلاقيها بتدلع .. ما هو الدكاترة النفسانيين بقوا موضة اليومين دول ..

قلت فى صوت جامد دون أن يبدو على انى غضبت لرأيه فىّ :

— بنتك مجنونة يا محمد بيه ..

وخبط على مكتبى بقبضته ، وقال فى حدة :

— أيه الكلام ده .. أنت عايز تجننها بالعافية .. ولا مجنونة ولا حاجة .. ما طول عمرها عايشة معايا وعارف إذا كانت مجنونة ولا لأ .. ولسه شايفها النهارده الصبح .. مافيهاش حاجة .. ضعيفة شوية ..

قلت :

— فيه ناس كتير عارفين انها مجنونة ..

ونظر إلىّ فى تردد كأنه يخافنى ، ثم قال وهو يفتعل التهكم :

— وايه اللى جننها ؟!

قلت مجازفا :

— أنت ..

وانتفض .. وعرفت من انتفاضته انه يخفى سرا يمكن أن يؤدى إلى الجنون ، وقال :

— أنا .. أنت ما تعرفش أنا باحبها أد ايه .. ما تعرفش أنا صرفت عليها أد أيه .. وتعبت علشانها أد أيه .. و ..

قلت وأنا ابتسم له :

— نبتدى من الأول .. من يوم ما اتولدت ..

وابتلع ريقه ، وكأنه استسلم لى ، ثم بدأ يقص علىّ قصة طويلة .. قصة عادية ليس فيها شىء غريب إلا أنه كان ينسب لنفسه كل فضل فى تربية ناهد .. هو الذى كان يشرف على مأكلها ، وملبسها ، ودراستها ، وتربيتها .. لا شىء أبدا ينسبه إلى أمها ..

وإذا كان كلامه صحيحا ، فمعنى هذا أن سر اهتمامه بها إلى هذا الحد هو الشعور بالذنب .. لابد أن هناك سرا يدفعه إلى كل هذا الاهتمام بابنته .. ولكنه لم يفصح لى عن سر .. كل ما أثار اهتمامى انه قال خلال حديثه :

— ده حتى نوبه كانت قاعدة على حجرى ، وجيت ابوسها ، راحت عضانى فى ودنى .. وفضلت ودنى تخر الدم ييجى تلات أيام ..

قلت :

— كان عندها كام سنة يوم ماعضتك ..

قال :

— خمس سنين .. يمكن ستة !

واستمر فى قصته ، ثم قال :

— أنا صرفت عليها كتير .. كتير جدا .. ما فيش أب ممكن يصرف على بنته بالشكل ده ..

وعاد يستطرد فى رواية حوادث تافهة ، ثم فجأة قال :

— اللى انصرف على ناهد ، كان يربى عشرين بنت ..

وقلت فى خبث :

— انت ما خلفتش غير ناهد يا محمد بيه ؟

قال فى اندفاع :

— لا ..

قلت :

— يمكن الست بتاعتك اجهضت مثلا ؟

قال :

— لا .. إنما لو كنت خلفت عشرة ما كنتش صرفت عليهم اللى صرفته على ناهد ..

واستطرد يتكلم عن طفولة ناهد وصباها ، وشبابها .. ووضعت على وجهى قناعا من عدم الاهتمام ، بينما كنت فى داخلى اتحفز كأنى أهمّ بالقاء قنبلة ..

وبعد برهة انخدع السيد محمد فخر الدين فى قناع عدم الاهتمام الذى وضعته على وجهى ، فخفت حماسه للحديث، ثم قال :

— أدى يا سيدى كل حكاية ناهد ..

قلت كأنى أوجه له لوما شديدا :

— والله يظهر ان سيادتك مش عايز تساعدنى .. الحاجة اللى كنت منتظر اسمعها منك .. ما قلتهاش ..

قال وهو يدعى البرودة :

— زى ايه مثلا ؟

قلت دون أن أبدو كأنى أباغته :

— كنت منتظر مثلا أنك تقول لى أن ناهد مش بنتك ..

وانتفض واقفا ، وصرخ قائلا :

— مش بنتى .. مش بنتى ازاى .. مين اللى قال لك الكلام ده؟.

قلت وأنا اسلط عليه كل عينىّ :

— ناهد .. هى اللى قالت لى انها مش بنتك ..

وسقط على المقعد يلهث ، وهو يردد :

— ناهد .. ناهد عرفت .. لازم أمها قالت لها .. المجرمة ..

وبدا كأنه يهم بالبكاء ..

وتركته يهدأ قليلا ، ثم قلت وقد بدأ النور ينسكب فى عقلى :

— أرجوك يا محمد بيه .. قول لى على كل حاجة بصراحة ..

وسكت ، وهو ينظر بعينيه فى الفراغ ..

وتركته يسكت ، إلى أن تكلم من تلقاء نفسه ، قال :

— فعلا .. ناهد مش بنتى .. أنا اتجوزت أمها بعد ماقعدت احبها خمس سنين .. كانت ساكنة مع أمها فى الشارع بتاعنا .. وحبيتها .. حبيتها صحيح .. وعملت المستحيل علشان اتجوزها .. ويوم جوازنا .. فى ليلة دخلتنا .. اعترفت لى انها مش عذراء .. وأنها حامل .. حامل فى شهرين .. واتجننت ..

وتنهد نهدة عميقة كأنه يطلق من صدره أبخرة كثيفة .. ثم استطرد قائلا :

— ما عرفتش ليلتها أعمل ايه .. ما فكرتش انى أطلقها ،

لأنى كنت باحبها .. كنت ما صدقت انى اتجوزتها .. كل اللى عملته انى سألتها عن اسم عشيقها .. مارضيتش تقول لى .. ضربتها .. وفضلت أضرب فيها لغاية ما قالت لى .. قالت على اسم واحد من أولاد حتتنا كان مات فى حادثة قبل ما نتجوز بتلات شهور .. مات .. إنما لغاية دلوقت عايش قدامى .. من يوم ما عرفت الحكاية وهو عايش قدامى .. باكرهه ، باحقد عليه ، وباتمنى انه يكون عايش علشان اقتله بنفسى .. وليلتها فكرت انى أقتل مراتى .. لكن ماقدرتش .. فكرت فى حاجات كتير .. إنما كل اللى عملته انى ماقربتش لها .. سيبتها ورحت الأوده التانية ، ومسكت المصحف وحلفت انى لا اعاشرها معاشرة الأزواج أبدا .. ومن يومها لغاية دلوقت ماقربتش ناحيتها .. عمرنا ما نمنا فى سرير واحد ..

قلت :

— بقالكم كام سنة متجوزين ..

قال :

— سبعة وعشرين سنة ..

قلت وأنا لا أستطيع أن أكتم دهشتى :

— والست استحملت تقعد سبعة وعشرين سنة بالشكل ده ؟

قال :

— هى عارفة انى باعاقبها.. وعارفة انها تستحق العقاب .. كانت بتتعذب .. ويمكن لسه بتتعذب لغاية دلوقت .. وكنت عارف انها بتقعد تعيط كتير فى أودتها .. إنما ماتنساش انى كنت باتعذب معاها.. أنا باحبها ورغم ذلك حرمت نفسى منها .

قلت :

— وناهد ؟

قال وهو يتنهد :

— ناهد ما لهاش ذنب .. ذنبها ايه إذا كانت أمها أخطأت .. ومن يوم ما تولدت وأنا باحاول اخبى عنها الحقيقة .. نسبتها لنفسى فى شهادة ميلادها .. اعترفت بيها .. وعاملتها زى ما تكون بنتى .. ما اعتقدتش ان فيه أب حب بنته وصرف عليها زى ما حبيت ناهد وصرفت عليها .. وكان أهم حاجة بالنسبة لى أنها ما تعرفش حاجة من حكاية أمها .. ما تعرفش انها مش بنتى .. إنما كل اللى عملته ضاع .. آهى عرفت .. لازم أمها قالت لها .. حبت تنتقم منى زى ما انتقمت منها ، فقالت لبنتها الحقيقة علشان تبعدها عنى ، لأنها عارفة انى باحبها ..

قلت فى هدوء :

— ناهد ما تعرفش حاجة يا محمد بيه ..

واتسعت عيناه من الدهشة ، وقال فى صوت مرتعش :

— ما تعرفش .. أمال أنت عرفت منين ؟

قلت :

— سيادتك اللى قلت لى .. أنا وجهت لك سؤال افتراضى، فانت جاوبت عليه وحكيت كل الحكاية ..

وسكت ، وهو ينظر إلىّ كأنى نصاب خدعه ..

وكنت فعلا قد وجهت إليه سؤالا افتراضيا .. كنت قد لاحظت فى حديثه إنه يردد باستمرار أنه أنفق على ناهد كثيرا من أمواله .. وهذه الملاحظة دفعتنى إلى افتراض ان ناهد قد لا تكون بنته ، لأن الآباء عادة لا يعطون كل هذه الأهمية للأموال

التى ينفقونها على أولادهم .. ثم إنـه لم ينجب من زوجته أولادا بجانب نـاهـد ! . ثم اهتمامه الزائد بأن يشرف على تربيتها بنفسه.. كل ذلك دفعنى لأن أقول لـه : «أنا كنت منتظر منك أن تقول لى مثلا ، ان ناهد مش بنتك» .. ولم يلحظ فى السؤال كلمة «مثلا» فتلقاه صارخا .. وأصبح من السهل بعد ذلك أن يعترف لى ..

وعدت أقول له :

— أنـا دكتـور يا محمـد بيـه .. مش محقق .. ومـاليـاش مصلحة إلا انى أساعد ناهد على الشفا ..

ثم بـدأت أروى لـه بعض مظاهـر مـرض نـاهد .. ووجهـه يمتلىء بالدهشة ، والغيظ ، والالم ، إلى أن قال :

— وعايزنى أعمل أيه دلوقت ؟

قلت :

— ما تقـولش لناهـد إنك شفتنى .. مـا تقولش لها حـاجة أبـدا.. لو عـرفت نـاهد أنك عـرفت بمـرضـها حـاتتجنن أكتر .. وأحسن تبعد عنها اليومين دول ، ما تشفهاش ..

قال والتأثر باد على وجهه :

— أنـا مستعد أعمل أى حـاجـة يا دكتـور .. أى حاجـة .. مستعد آخدها ونسافر بره واعرضـها على الدكاترة هناك ..

وكنت أعلم أنه لا يتعمد اهانتى ، فرددت عليه فى هدوء وثقة :

— نـاهد حـاتخف .. والفضل مش لى لوحـدى .. إنما لك .. أنت ساعدتنى كتير ..

وقام لينصرف ، ونظر إلىّ فى تردد وعروقـه منتفضة فى يديه وعنقه ، وقال :

— أنت حاتقول لناهد .. حاتقول لها انها مش بنتى ؟؟

قلت :

— لسه مش عارف .. المهم انك أنت ما تقولش لها حاجة ..

وخرج ..

●●●

وأصبحت عقدة ناهد واضحة ..

لقد عرفت الحقيقة وهى طفلة .. ربما سمعتها من مربيتها ، أو من إحدى الخادمات .. ولم يكن محمد فخر الدين يستطيع أن يخفى الحقيقة عن كل الناس .. فكل الذين حوله لابد قد عرفوا أن زوجته قد وضعت ابنتها بعد سبعة شهور ، وربما كان بينهم من يعلم بعلاقتها السابقة بعشيقها .. ولابد أن هذا الموضوع تردد أمام ناهد وهى صغيرة ، وكان الذى ردده يظن أنها من الصغر بحيث لاتفهم ما تسمعه .. ولابد أنها سمعت أيضا ، أن أباها قد هجر أمها منذ اليوم الأول للزواج ، وأنه لا يعاشرها معاشرة الأزواج ، وكانت ترى أمها دائما حزينة بائسة كأنها على وشك البكاء ، أو كأنها انتهت من بكاء .. وكل ذلك سقط فى اللاشعور .. سقط فى العقل الباطن .. وتكونت عقدة ناهد .. وقد حاولت عقدتها ان تنطلق فى اتجاه كراهية ابيها .. أو كراهية الرجل الذى تعتقد أنه أبوها.. بدليل انها عضته وهى صغيرة عضة قاسية اسالت الدم من أذنه .. ولكن .. ضغط الظروف الاجتماعية التى تحول دون اعلان كراهية الأبناء للآباء ، وحرص ابيها على الا يترك لها فرصة لكراهيته ، كل ذلك كتم عقدتها وضخمها ، وظلت تتضخم على مر السنين ، حتى أصبحت ناهد شابة .. فانطلقت عقدتها فى اتجاه خطير ..

أصبحت — دون أن تدرى — تخاف من أن يكون نصيبها من الحياة مثل نصيب أمها .. أن تسقط فى بئر الحرمان الذى سقطت فيه أمها .. ولم تكن تستطيع أن تواجه هذا الخوف بعقلها الواعى .. لم تكن تستطيع أن تعترف به .. إنما ظل الخوف قابعا فى عقلها الباطن .. فى اللاشعور .. وظل يتضخم حتى كون شخصيتها الثانية وقويت هذه الشخصية حتى أصبحت تغلب شخصيتها الأولى الشخصية الظاهرة .. فتنطلق فى فترات أشبه بالغيبوبة .. تنطلق انطلاقا جنسيا عنيفا ، إلى حد أن تندفع إلى الاستسلام لأى رجل يصادفها فى الطريق ، هربا من الحرمان.. أو تعويضا عن الحرمان الذى تعانيه أمها.

هذه هى عقدة ناهد بالتفصيل ..

لا يمكن أن تكون غير هذا ..

وبقى سؤال كان يجب أن أبحث عن جوابه :

— لماذا اهتم محمد فخر الدين كل هذا الاهتمام بتربية ناهد.. رغم أنه يعلم أنها ليست ابنته ؟

والجواب بسيط ..

لقد أراد أن يعوض قسوته على أمها .. إنه الاحساس بالذنب.. الضمير المذنب .. لا الحب ، هو الذى كان يدفعه إلى الاهتمام بناهد .. ولو لم يكن ينتقم من أمها ، لانتقم منها ..

●●●

وكل هذا الذى توصلت إليه ، لا يجدى فى شفاء ناهد ، إلا إذا عرفته بنفسها ، إلا إذا انتزعته من عقلها الباطن ، وواجهته بعقلها الواعى .. وعندما تواجهه .. وتكتشف نفسها .. تشفى ..

وبدأت آخر مرحلة من مراحل العلاج ..

لم اتصل بناهد بعد أن خرج أبوها من عندى ، ولم اتعجلها عن موعد زيارتها لى ، بل تركتها إلى أن جاءت فى موعدها ، حتى لا أشعرها بأنه جد جديد بالنسبة لها ..

وقد جاءت كما تعودت أن تأتى .. ضعيفة ، منهوكة ، ممصوصة الوجه ، فى عينيها توسل واستجداء ..

ورقدت على الأريكة ، وبدأت تتحدث عن حياتها اليومية، وعن آخر المرات التى شعرت فيها بفقدان الذاكرة ، ولكنى كنت قد قررت أن أوجهها بأسئلتى ، فقاطعتها وقلت لها فى لهجة آمرة ، وأنا جالس خلف رأسها :

— اتكلمى عن طفولتك .. أيام ما كنت صغيرة ..

وبدأت تتحدث فى استسلام عن أيامها فى «الانجلش سكول».. وعدت أقاطعها .. قلت فى نفس اللهجة الآمرة :

— قبل كده .. قبل ما تروحى المدرسة ..

قالت :

— مش فاكرة .. أنا كنت صغيرة قوى ..

قلت :

— كان عندك مربية .. مش كده ؟..

قالت وهى تبذل مجهودا لتتذكر :

— أيوه ..

قلت بسرعة :

— كان اسمها ايه ؟

قالت وقد بدأت أنفاسها تتهدج :

— اسمها .. اسمها .. اسمها فاطمة .. دادا فاطمة !

قلت وأنا ألاحقها :

— كان شكلها ايه ؟

قالت وقد اتسعت عيناها كأنها تتصور شبحا :

— كانت عجوزة .. دايما حاطة طرحة بيضة على رأسها.

قلت :

— وكانت بتشتغل فى بيت ماما قبل ما تتجوز .. مش كده ؟

قالت :

— أيوه .. أظن !

قلت :

— وراحت فين دادا فاطمة ؟

قالت :

— خرجت ..

قلت :

— خرجت ليه ؟

وسكتت وقد عقدت ما بين حاجبيها ، وازداد اصفرار وجهها من عنف المجهود الذى تبذله ، فى تنشيط ذاكرتها :

— مش فاكرة .. ده كان زمان قوى ..

قلت :

— افتكرى كويس .. انتى تقدرى تفتكرى ..

وازداد تهدج أنفاسها ، ثم توهجت نظرتها ، وقالت :

— بابا طردها .. أيوه .. بابا طردها ..

قلت بسرعة :

— طردها ليه ؟

وسكتت قليلا .. ثم قالت فى عجز :

— مش عارفة .. مش قادرة افتكر ..

قلت فى الحاح :

— لأ .. عارفة .. قولى ..

قالت :

— لازم كانت بتضربنى .. أيوه .. كـانت بتضربنى .. وكانت بتشتمنى .. دلوقت افتكرت .. كانت بتشتمنى !

قلت فى إصرار :

— كانت بتشتمك ، تقول لك ايه ؟

وعادت تسكت .. ثم هزت رأسها فوق الأريكة ، وقالت :

— مش فاكرة .. مش فـاكرة .. أنا تعبت يا دكتـور .. كفاية كده النهارده ..

وازحت مقعـدى ، وجلست فى مـواجهتهـا .. وجهى قبـالـة وجهها ، وعينـاى مسلطتان على عينيها ، وألقيت الـورقة والقلم من يدى ، وقلت لها وأنا أحاول أن أفرض شخصيتى عليها :

— ناهد .. لازم تساعـدينى أكتر من كده .. أنت حاتخفى .. أنـا متأكـد انك حـاتخفى .. إنما لازم تسـاعـدينى .. عـايـزك تفتكـرى كل حـاجة .. افتكـرى الأودة اللى كنت بتنـامى فيهـا وانتى صغيرة .. والعـروسة اللى كنت بتلعبى بيهـا .. وافتكرى مامـا كان شكلها ايـه من سبعة وعشرين سنة .. كـانت حلوة . وكـانت حـزينـة .. وكـانـت بتتكلم كتير مع دادتك، كـلام مـا ينفهمش .. وكـانت دادتك بتضربك .. وكانت بتشتمك .. كـانت بتقول ايه لما تشتمك .. افتكرى .. افتكرى..

وأنفاس نـاهد تتهـدج ، ووجهها يـزداد امتقاعـا ، وعيناهـا مغرورقتان بطبقة من الدمـوع ، كأنها تبكى عجزها ، ثم قالت كأنها هائمة فى دنيا بعيدة :

— أنا كنت باكره دادا فاطمة .. باكرههـا قوى .. كانت دايما

تشتم أبويا .. كانت تقول لى يا بنت الكلب .. ونوبة .. نوبة قالت لى : يا بنت الحرام .. أيوه كانت دايما تقول لى يابنت الحرام .. اقعدى يا بنت الحرام .. نامى يا بنت الحرام..

وسكتت وهى تلهث ..

وتعجلتها :

— وبعدين .. وبعدين يا ناهد ..

قالت كأنها لا تسمعنى :

— أنا رحت سألت بابا نوبة .. يعنى أيه بنت الحرام .. ماردش علىّ .. وطرد دادا فاطمة .. وقبل ما يطردها شتمها .. تستاهل ..

قلت :

— وايه كمان .. فاكرة ايه كمان ؟

قالت :

— مش فاكرة حاجة ..

قلت :

— لا فاكرة .. فاكرة انك حبيتى تعرفى معنى كلمة «بنت الحرام» .. وبقيتى تسمعى كل حد فى البيت يتكلم .. كنت مثلا بتسمعى مامتك وهى بتكلم دادا فاطمة .. كانوا بيقولوا ايه ؟ افتكرى .. دول كانوا بيقولوا حاجات تهمك .. افتكرى كويس ..

وعقدت ناهد ما بين حاجبيها أكثر .. ثم غطت وجهها بيديها وصرخت :

— مش فاكرة .. مش فاكرة .. يا ربى .. أنا تعبانة ..

ولكنى لم أرحمها .. ظللت ألح عليها حتى تذكرت .. تذكرت انها سمعت مربيتها تقول لأمها : «لو كان أبوها عايش كان زمان ده كله ما حصلش ..» وتذكرت مربيتها تقول لأمها

أيضـا: «وانت حـاتفضلى طـول عمرك كـده يـاستى .. حـرام تضيعى شبـابك هـدر .. ده الموت أرحم .. اللى عمـره مـا بـات جنبك ليلة» .. و ..

كلمات متفـرقة تـذكـرتها نـاهد بصعـوبـة .. ثم انتفضت جالسة فوق الأريكة ، وهى تصرخ :

— ده مش بـابا .. محمد فخـر الدين مـش بابا .. أنـا مش بنته.. أنا بنت مين ؟..

وتنهدت ..

كانت مهمتى قد انتهت ..

وقمت إلى مكتبى أسجل ملاحظـاتى ، وعلى شفتى ابتسامة النصر ..

وبعد أن هدأت نوبة الصراخ التى انتابت ناهد .. بدأت أروى لها كل تفاصيل حيـاتها التى أدت إلى مرضـهـا .. وهى تنظر إلىّ بعينين مذهولتين .. كأنها ترى نفسها لأول مرة ..

وقـالت وقـد بدأت شخصيتهـا تتلـون بلون جـديـد ، رغم الضعف والهزال الذى تعانيه .. قالت فى أسى :

— ودلوقت أعمل ايه ؟

قلت :

— ولا حاجة .. كل اللى لازم تعمليـه ، انك تعرفى اسم والدك الحقيقى ، وتروحى تزورى قبره ..

قالت :

— وبابا .. قصدى بابا التانى ؟

قلت :

— اصفحى عنـه .. هـو كمان عيـان .. عيـان زى مـا كنت عيانة.. بس مرضه مختلف ..

وخرجت ناهد ..

إنسانة جديدة ..

●●●

ولم تنقطع نـاهد عن التردد علىّ .. ظلت تأتى إلىّ وتـروى لى كل ما يجد فى حيـاتها .. وكان هناك سر ، لن يستطيع كـلانا أن يكشفه .. أين تختفى زجاجة العطر التى كـانت تتعطر به ناهد عنـدما تنتـابها شخصيتها الثـانية .. وكيف كـانت تتسلل من البيت دون أن يلمحها أحد ؟

هذا السر لا تعرفه إلا الشخصية الثانية ..

الشخصية التى اختفت ..

الشخصية التى قتلتها ..

ورغم ذلك فقد اتصلت بى ناهد فى التليفـون بعد حوالى ستة شـهور من شفائها ، وقالت فى فرحة كأنها طفلة :

— أسكت .. مش لقيت قزازة البارفان ..

قلت :

— فين ؟

قالت :

— جـوه السيفـون بتـاع التواليت .. كـان جـه السمكـرى يصلحه ، ولقى فيه القزازة .. ده بارفان فاقع قوى ..

●●●

وهكذا انتهت قصة ناهد ..

وعشت بعـدها فى انتظار أن يأتـى إلىّ مريض آخـر .. محمد فخر الدين ؟!

ولكنه لم يأت ..


سقوط العقل
• مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة • مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة •

إن الحب يدفع إلى الخوف ..

إنك تحب إنسانا إلى حد أنك تخاف عليه .. تخاف عليه من المرض .. ومن الخطأ .. ثم تخاف عليه من أن تصدمه سيارة .. أو يصاب بالسكتة القلبية .. ويموت .. ثم يدفعك خوفك إلى أن تمر بك لحظات تتخيل خلالها أن هذا الشخص قد مات فعلا .. وتنساق فى خيالك إلى حد أن تتصور جنازته ، وتتصور نفسك تسير خلف نعشه وتبكى .. و .. و..

وأنا نفسى كنت كثيرا ما اتخيل أبى وقد مات .. حتى بعد أن كبرت وأصبحت طبيبا مشهورا ، ظلت هذه اللحظات التى أتصور فيها أبى قد مات ، تتطرق إلى خيالى .. وينساق تفكيرى وراءها فابدأ فى تصور الاجراءات التى سأتخذها بعد موته .. وأتصور كيف سأدعو الحانوتى .. وهل سأشيع الجنازة من ميدان التحرير أم من أمام بيتنا .. ثم أتصور المعزين الذين سيفدون علينا .. وأتصور نفسى واقفا استقبلهم وقد وضعت على عينى نظارة سوداء ، وضممت شفتى حتى لا يتعبا من مظهر الحزن ، فينفرجا عن ابتسامة مجاملة لأحد المعزين .. ثم أتذكر أنى لا أملك كرافتة سوداء .. وأكاد اتخذ قرارا بشراء واحدة فى الغد ، استعدادا لموت أبى .. ثم يستطرد خيالى إلى أبعد

من ذلك فأتخيل المشـاكل التى ستعقب الموت .. المشـاكل بينى وبين أخوتى حـول تقسيم التركة ، وأشعـر بأنى إنسان خبيث وأنا أفكر فى الطريقة التى سأحمى بها حقى فى الميراث .. و ..

وأكثر من ذلك ..

إن التفكير فى بناء المقابـر هو نوع من الحب .. حب النفس .. فـالـرجل الـذى يفكر فى بنـاء مقبرة ، هـو رجل يحب نفســه ، ويدفعه هذا الحب إلى الخوف على نفســه ، إلى تصور أنه مات .. وتدفعه فكرة الموت إلى بناء مقبرة ..

المهم ..

ماذا نفعل عندما تدهمنا فكـرة الموت .. موت عزيز لدينا ، أو موت كل منا ؟!

إن كل ما نفعله هو الهرب ..

الهرب من هذه الفكرة ..

الهرب من هذا الخيال الأسود الذى يتطرق إلى رؤوسنا ..

ونحن لا نستطيع إلا الهرب ، لاننا نعلـم أن الموت حق .. إنه واقع لا محالة ، لا نستطيع دفعـه ولا مناقشته .. فكل مـانفعله هو أن نهرب من التفكير ..

وأغلبنا — أو كلنا — نستطيع الهرب فعلا .. فلا تكاد فكرة الموت تتطـرق إلى خيـالنـا حتى نتخلص منهـا بعـد لحظـات ، ونسقطها فى أعمق أعماق عقلنا الباطن .. ونحن نشعر بنوع من تأنيب الضمير والخجل من أنفسنا لأن مثل هذه الفكرة خطرت لنا .. ولكن ..

مـاذا يحدث لـو أن إنسـانـا لم يستطع أن يهرب من فكـرة الموت ؟

إنســان تسيطـر على وعيه فكـرة أن الشخص الـذى يحبـه سيموت !.

انها حالة شاذة ..

حالة غريبة ..

ورغم انى طبيـب نفسـانى — كما تعلمــون ورغم سعــة دراستى النفســانيـة ، وكثرة الحالات الشــاذة التى مـرت بى ، فانى لم أفكر أبدا فى هذا السؤال ..

إلى أن عـرضت علىّ حالـة الآنســة أنجى ، وحيدة المليـونير المعروف عبد العزيز داود (باشا سابقا) .

وسأروى لكم القصة ملخصــة عن مذكـراتى التى أسجلها لكل حالة تمر بى ..

●●●

فى الســاعـة الواحـدة بعـد منتصف الليل قـامت أنجى من فـراشهـا ، وســارت حـافيـة القـدمين ، وهى بقميص النـوم ، وشعـرها يسيل على وجهها ، وعينـاها تبرقـان بـريقا حـادا ، وانفـاسهـا تتهـدج تهدجـا سريعـا عنيفـا .. ودخلت المطبخ ، وفتحت الدرج الذى يحوى السكاكين التى يستعملها الطباخ فى تقطيع اللحـم ، والتقطت أكبر سكين منهـــــا .. وقبضت على السكين وشهرتـه فى الهواء .. ثم سارت بقـدميها الحافيتين إلى الغرفة التى تنام فيها أمها شكرية هانم .. وحدها .

وفتحت بـاب الغـرفة بهدوء ، حتى ان شكـريـة هـانم التى كانت مصابة بالأرق ليلتها ، لم تسمع صوت الباب وهو يفتح ، ولكنهـا بدأت تسمـع أنفاســا متهـدجة تقترب مـن فراشهـا .. وعنـدما تأكـدت من أنها تسمع صــوت هذه الأنفـاس ، فتحت

عينيها المغمضتين على الأرق .. فرأت شبحا أمامها .. وبسرعة ، ضغطت على مفتاح النور الموضوع بجانب رأسها .. وصرخت صرخة مبحوحة :

— أنجى .. بنتى ..

وظلت أنجى منتصبة أمامها ، وعيناها تبرقان بريقا حادا من خلف شعرها الأسود السائل على وجهها .. والسكين مشهر فى يدها ، معلق فى الهواء ..

وفجأة ..

هوت أنجى بالسكين فى اتجاه صدر أمها ..

وابتعدت الأم بسرعة .. فسقطت السكين فوق مرتبة السرير ، وسقطت معه أنجى منكفية على وجهها .. ولكنها اعتدلت بسرعة واقفة على قدميها .. وسقط السكين من يدها ونظرت إلى أمها وفى عينيها دهشة مجنونة كأن هناك شيئا لا تصدقه ، ثم صرخت صرخة حادة وسقطت على الأرض مغشيا عليها ..

واستدعانى عبد العزيز باشا عقب الحادث مباشرة ..

ولم يستدعنى كطبيب نفسانى ، فهو لا يؤمن بطب النفس ، ولكنه استدعانى لانى أقرب طبيب إليه .. اسكن معه فى نفس الشارع ، وبينى وبينه بيتان فقط ، وقد جاء إلى بيتى بنفسه مرتديا الروب فوق البيجاما بعد أن عجز عن الاتصال بى تليفونيا لأنى تعودت أن أرفع سماعة التليفون قبل أن أنام ..

وخطفت حقيبتى بعد أن روى لى الأب الملهوف لمحة من الحادث وعدت معه إلى بيته .

ووصلت بعد الحادث بنصف ساعة وكانوا قد نقلوا أنجى وارقدوها فى فراشها .. ووقفت أنظر إليها كأنى أبحث عن منفذ إلى أعماقها .. إنها هزيلة .. لا تتعدى الثامنة عشرة .. ووجهها

نحيل ممتقع فى لون ملاءة السرير .. وأنفاسها لا تزال تتهدج .. وكانت تهز رأسها فوق الوسادة بين الحين والحين هزات عنيفة ، وشفتاها تتمتمان بكلمات غير مسموعة ..

وقربت أذنى من شفتيها فلم أسمع إلا كلمة واحدة تتردد :

— ماما .. ماما ..

وأمها واقفة فى ركن الحجرة تبكى وتتمتم :

— بنتى .. بنتى ..

وأخرجت سماعتى وتسمعت دقات قلبها ، وقلبت جفنيها لأطمئن إلى مدى قوة الدماء فى عروقها ، وتحسست أطرافها .. إنها مثلجة ..

وحقنتها بحقنة مخدرة لتنام ..

وظللت بجانبها حتى نامت ..

هدأت أنفاسها ، ولكن ظلت ملامح وجهها محتفظة بتعبير غريب .. قد يكون تعبير ألم قاس ، أو حزن عنيف ..

ولم يكن هناك ما استطيع أن أفعله لها أكثر من ذلك .. فتركتها وأخذت معى الأم والأب وخرجنا إلى البهو الخارجى ، ووجهت إلى الأم سؤالا مباشرا .. قلت لها وأنا أنظر فى عينيها :

— تفتكرى إيه اللى يخلى أنجى تعمل كده ؟

وارتفع نشيج الأم وقالت :

— بنتى مجنونة .. بنتى مجنونة ..

قلت وأنا لازلت أنظر فى عينيها كأنى اتهمها :

— يمكن تكون مجنونة .. والطريقة الوحيدة علشان تشفى اننا نعرف ليه عملت كده ..

وقالت الأم وقد اشتد نشيجها :

— ما عرفش يا دكتور .. ما عرفش ..

وقلت بسرعة :

ــ آخر مرة اتخانقتى معاها امتى ؟

ولم أكن أقصد شيئا بهذا السؤال إلا أن أثير الأم لعلها فى ثورتها تقول أكثر مما تتعمد أن تقول ..

ولكنها لم تقل شيئا ..

وأخذت استعرض فى خيالى جميع العقد النفسية التى يمكن أن تكون راسبة فى أعماق أنجى ، وتؤدى بها إلى محاولة قتل أمها .. ربما كانت الأم لها عشيق تكرهه أنجى ، وكتمت كراهيتها له سنين طويلة حتى انطلق فى هذا الحادث .. ربما رأت فى صغرها أمها تسيىء معاملة أبيها .. ربما لم تكن أبنة هذه الأم .. ربما كانت الابنة تغار على أبيها من أمها (أحد تفرعات عقدة أوديب) .. ربما ..

ولكن ..

كان كل ما سمعته تأكيدا لمدى تعلق أنجى بأمها .. إنها تحب أمها حبا غريبا ..

عندما كانت صغيرة كانت ترفض أن تنام إلا بجانب أمها .. وكانت الأم كلما همت بالخروج من البيت وحدها ــ ولم تكن تخرج وحدها إلا نادرا ـ بكت أنجى وتعلقت بها ، فكانت الأم تتعمد أن تخرج خلسة دون أن تراها ابنتها ، فإذا عادت وجدتها مستيقظة باكية ، حتى لو عادت بعد منتصف الليل ..

وكان من عادة أنجى أن تتمادى فى تقبيل أمها .. كانت تقبلها كثيرا .. بمناسبة وبلا مناسبة ، ولا تكف عن تقبيلها إلا إذا نهرتها الأم .. حتى بعد أن كبرت ظلت تغالى فى تقبيل أمها .. ولم تكن تحب أن تقبل أباها ، فقط أمها ..

وكانت الأم تبادل أبنتها هذا النوع من الحب المغالى فيه ، كانت لا تفترق عنها .. حتى انها - وبعد أن كبرت أنجى - كانت تدخل معها ساعة الاستحمام .. وتصحبها كلما خرجت ، وتجلس بجانبها كلما جلست ..

وليس لأنجى صديقات .. وليس لها شاب تعجب به .. فقط أمها .. أمها هى صديقتها ، وهى حبيبتها .. هى كل حياتها ..

ومنذ سنوات .. عندما أصبحت أنجى فى الرابعة عشرة من عمرها ، بدأت تنتابها حالات فزع كثيرة .. كانت تهب من نومها فى الليل .. وتجرى إلى فراش أمها ، وهى تصرخ:

— ماما .. ماما .

ثم تلقى بنفسها بين ذراعى أمها ، وعندما تسألها الأم عما ألم بها ، لا تجيب بأكثر من أنها تشعر بالخوف .. ثم تقضى بقية الليل نائمة فى هدوء بجانبها ..

ثم بدأت هذه الحالات تنتابها حتى فى النهار .. فتجرى إلى أمها وهى تصرخ نفس الصرخة ، ولا تكاد تجلس بجانبها حتى تهدأ ..

وكانت الشىء الوحيد الذى يميز هذه الحالة - حالة الفزع - إنها تحدث لأنجى عندما تكون وحدها بعيدا عن أمها ، سواء بالليل أو النهار .

ثم بدأت أنجى تصاب بهزال شديد .. نقص وزنها نقصا كبيرا ، وعجز كل الأطباء الباطنيين عن وقف هذا الهزال .. وحدث فى نفس الوقت تطور جديد فى الحالات التى تنتابها .. لم تعد تفزع .. ولكنها كانت تنفرد فى حجرتها وتبكى كثيرا .. تبكى دون أى مناسبة يعرفها أحد ممن حولها .. وكانت نوبات

البكاء تهب عليها فى الليل أكثر من مما تهب فى النهار .. فإذا دخلت عليها أمها ، كفت عن البكاء مرة واحدة ، ونظرت إليها فى دهشة كأنها لا تصدق عينيها ، ثم ابتسمت لها ..

وكانت نوبة البكاء تعاودها كل يومين أو ثلاثة .. ثم أصبحت تعاودها كل يوم .. وتنتهى عندما ترى أمها .. تكف عن البكاء ، وتنظر إليها فى دهشة ثم تبتسم ..

ثم ـ فى الشهور الأخيرة ـ حدث تطور آخر ..

لم تعد أنجى تبكى .. ولكنها أصبحت تفضل دائما أن تبقى وحدها .. كانت تغلق باب حجرتها با لمفتاح وتبقى فيها ساعات طوالا .. وأصبحت تهرب من لقاء أمها .. كانت لا تكاد تراها حتى تدخل حجرتها وتغلق الباب با لمفتاح .. فإذا اضطرت أن تجلس معها ، تعمدت ألا تنظر إليها .. ترخى عينيها .. وتصمت.. إلى أن تدخل حجرتها ، وتغلق بابها با لمفتاح ..

و ..

كل ذلك سمعته ـ وصدقته ـ فى ثلاث ساعات جلستها مع الأب والأم .. كان كلاهما يعلم أن أنجى مجنونة .. ورغم ذلك فإنهما لم يذهبا بها إلى طبيب أمراض عقلية ، أو إلى طبيب نفسى .. لأن جنون ابنتهما كان جنونا هادئا ، ولأنهما خشيا الفضيحة ..

إلى هذا الحد يبلغ الجهل والأنانية ببعض الناس ، حتى لو كانوا أصحاب ملايين ..

وقمت لأعود إلى بيتى فى الساعة الخامسة والنصف صباحا، ووقف السيد عبد العزيز داود يودعنى قائلا :

ـــ أرجوك يا دكتور .. أنا واثق فيك .. مش عايز حد يسمع

بالحكاية دى .. أرجوك !

ونظرت إليه فى اشمئزاز ، ولم أرد عليه ..

وعدت إلى المريضة فى الساعة الثامنة صباحا ، فقد كنت أريد أن أكون بجانبها عندما تفيق من المخدر الذى حقنتها به ..

وجلست على مقعد بجانب فراشها .. بعد أن طلبت من الأم الباكية الا تدخل الحجرة إلا إذا استدعيتها ..

ومرت أكثر من ساعة ، وأنجى نائمة ، ووجهها فى لون الفراغ .. وأنا استعيد كل ما جمعته من معلومات عنها ، وأحاول أن أخرج منه بشىء ..

إن هذا التطور فى الحالات التى مرت بها ، دليل على أن هناك فكرة ، أو عقدة ، تتطور .. تكبر .. والمفتاح الوحيد لهذه العقدة ، والذى وجدته فى المعلومات التى سمعتها ، هو حب أنجى لأمها.. هذا الحب الغريب المتطرف ..

ولكن ..

هل يمكن أن يؤدى الحب إلى القتل ؟..

لماذا تحاول أنجى أن تقتل الأم التى تحبها ؟

إنه لم يقع شىء جديد بينها وبين أمها يمكن أن يتجه بحبها نحو القتل .. ولكن .. إذا لم يكن هناك شىء جديد وقع فى العالم الخارجى الذى يحيط بأنجى ، فقد يكون هناك شىء وقع فى عالمها الداخلى .. فى نفسها !

و..

وفجأة فتحت أنجى عينيها .. ونظرت إلىّ كأنها لا ترانى .. ثم طرحت رأسها فوق الوسادة ، وعادت تنظر إلىّ كأنها لا ترانى .. ثم رفعت عينيها إلى السقف ، وظلت تبحلق فيه فترة ،

ثم سمعتها تتمتم :

— ماما ..

وانحنيت فوقها وقلت هامسا فى رقة :

— ما لها ماما !

ولم تجب أنجى .. ظلت تبحلق فى سقف الحجرة ..

وعدت أهمس بصوت خفيض رقيق :

— حصل ايه لماما يا أنجى ؟.

وقالت فى صوت ضعيف كأنها تخاطب وهما :

— ماما ماتت .. ماتت ..

وقلت بسرعة :

— ماتت امتى ؟

وتعقد حاجباها ، واكفهر وجهها ، ولم تجب ..

وغيّرت السؤال بسرعة ، وعدت أقول :

— ماتت ازاى ؟

واستراح حاجبا أنجى ، كأنها تعرف الإجابة على هذا السؤال ، وقالت وهى تتنهد فى أس :

— ماتت فى السكتة القلبية ، زى طنط فيفى ..

وعدت أسألها السؤال الذى لم تجب عليه :

— امتى ؟

وقالت فى هدوء :

— السنة اللى فاتت ..

ثم بدأت تبكى فى هدوء أيضا ..

ثم طرأ على ذهنى خاطر مفاجىء ، فقمت من جانب أنجى وخرجت بسرعة وسألت أمها :

— انتم تعرفوا واحدة اسمها طنط فيفى ..

وقالت الأم فى دهشة :

— ايوه .. أختى .. الله يرحمها ..

قلت بلهفة :

— ماتت بالسكتة القلبية السنة اللى فاتت ..

قالت :

— ايوه .. بتسأل ليه ؟

وابتسمت .. والأم تنظر إلى ابتسامتى فى دهشة ..

وجذبت الأم من يدها ، ودخلت بها الحجرة .. وأنجى لا تزال تنظر إلى السقف والدموع تنهمر من وجنتيها ..

وانحنيت على الفراش وقلت بصوت أكثر وضوحا :

— ماما ما متتش يا أنجى .. ماما لسه عايشة .. بصى .. أهى واقفة جنبك ..

وادارت أنجى رأسها ..

ورأت أمها ..

وارتفعت عينيها نظرة فزع ..

وشهقت ..

ثم أغمى عليها مرة ثانية ..

●●●

وقد كنت أريد بمفاجأة أنجى برؤية أمها ، أن أسلط عليها صدمة عصبية ، لعلها تفيق بها ، من اعتقادها أن أمها قد ماتت ..

ولكن أنجى لم تحتمل الصدمة ، وأغمى عليها ..

وعدت أحاول أن أبحث عن تحليل يقنعنى لهذه الحالة ..

لماذا تعتقد أنجى أن أمها قد ماتت ؟

وفجأة تذكرت ـ بالصدفة ـ شعورى وأنا صغير عندما كان يموت أحد أقربائنا ، فإذا بى أتخيل أن أبى قد يموت أيضا.. واستطرد فى هذا الخيال ، إلى حد أن أشعر بأنى ـ وأنا أبكى قريبى الذى مات ـ أبكى معه أبى ..

ربما حدث نفس الشىء لأنجى ..

فعندما ماتت خالتها ، اعتقدت أن أمها ماتت ..

والفرق بين حالتى عندما مات قريبى ، وحالة أنجى عندما ماتت خالتها .. انى كتمت تصورى موت أبى فى عقلى الباطن ، ولكن تصور أنجى موت أمها ، أنطلق من عقلها الباطن وسيطر على عقلها الواعى ..

وبدأت أدرس النوبات التى كانت تعترى أنجى فى مراحل عمرها ، وأحللها فى حدود هذا الفهم الجديد لحالتها..

لقد كانت أنجى تحب أمها حبا شاذا ، ربما كان سببه أن أمها ربطتها بها أكثر مما يجب ، لأنها وحيدتها .. وهذا الحب ، دفع أنجى إلى أن تخاف على أمها .. تخاف أن تفقدها .. ودفعها هذا الخوف إلى أن تمر بها لحظات تتصور فيها اليوم الذى ستموت فيه أمها .. ولاشك أن أنجى فى أول الأمر كانت تستطيع أن تكتم هذا الخيال وتهرب منه .. ولكنها كانت أضعف من أن تستمر فى الهروب من خيالها .. وبدأ هذا الخيال يلاحقها .. فكانت تفزع فى الليل وتجرى إلى غرفة أمها وتنام بجانبها ، لتساعد نفسها على الهروب من خيالها .. ثم أصبحت تفزع بالنهار أيضا ..

وكل ذلك وهى لا تطلع أحدا على خيالها .. إنها تخجل منه ،

وينتابها إحساس بالذنب لأن مثل هذا الخيال يراودها..

وكان أن دفعها الكبت، والشعور بالذنب، إلى الاستسلام لخيالها .. أصبحت تستريح، وهى تعيش فى حالة الاعتقاد بأن أمها ماتت .. أصبحت تتلذذ بهذا الخيال .. فتجلس فى حجرتها وتبكى .. وكان هذا البكاء أرحم عليها، من أن تظل حائرة بين اعتقادها أن أمها قد ماتت وبين حقيقة أن أمها لم تمت ..

وكانت تفيق من نوبات البكاء كلما رأت أمها، وتنظر إليها فى دهشة كأنها لا تصدق عينيها .. ثم تبتسم لانها تستيقظ من حالتها برهة وتكشف أن أمها لم تمت ..

ولكن الخيال لا يزال يطاردها، واللحظات التى تستيقظ فيها أصبحت تعذبها ..

أصبحت تتمنى أن تموت أمها فعلا، كلما مرت بها لحظة تراها فيها حية .. أصبحت تتمنى موت أمها لتتخلص من خيالها .. ليصبح هذا الخيال حقيقة تخلصها من الخوف ومن الخجل والشعور بالذنب ..

وهذه الأمنية المكبوتة جعلتها تمر فى مرحلة أخرى .. مرحلة الابتعاد عن أمها .. والفزع كلما رأتها .. كأنها ترى شبحا .. شبح أمها التى ماتت ..

ثم ..

تطور بها هذا الجنون إلى حد محاولة التخلص من هذا الشبح الذى يطاردها .. محاولة قتل أمها بسكينة المطبخ ..

وإنى أرجح أن أنجى عندما همت بقتل أمها، لم تكن تعتقد - فى جنونها - أنها تقتل أمها .. بل كانت مؤمنة بأن أمها قد ماتت فعلا، وكان هذا الايمان قد تعدى مرحلة الشك،

وأصبحت مستسلمة له استسلاما كاملا .. ولكنها كانت تقتل شبحا .. شبحا يؤرقها وينبه جزءا من عقلها لتعود وتتعذب بالإحساس بالخجل والخوف والشعور بالذنب ..

كانت أنجى تقتل شبحا ..

●●●

هذا هو التحليل الذى وضعته لحالة أنجى ..

ورغم أنه كان أقرب التحاليل إلى منطق علم النفس ، إلا أنى كنت لازلت فى حاجة إلى شواهد تؤكده ..

وكان الطريق للوصول إلى هذه الشواهد ، هو طريق محاولة علاج أنجى من جنونها ..

كان من المستحيل أن أبدأ علاج أنجى بطريق التحليل السلبى .. أى أن أتركها ترقد على الأريكة ، وتتكلم عن حياتها إلى أن تكتشف عقدتها بنفسها .. فقد كانت حالة أنجى حالة عنيفة ، يسيطر فيها العقل الباطن سيطرة كاملة على عقلها الواعى ، بحيث لم يعد هناك مجال للعقل الواعى لأن يكتشف شيئا مما يرسب فى العقل الباطن ..

كان يجب أن أبحث عن طريقة إيجابية أنقذ بها عقل أنجى الواعى من براثن عقلها الباطن .

وبدأت أجمع مزيدا من المعلومات عن حياة أنجى ..

وكان أول ما يهمنى هو أن أكتشف سر هذا الحب العنيف الذى يربطها بأمها .. ولم أستطع أن أجد فى حياتها حادثة معينة بالذات تبرر هذا الحب .. ولكن كان هذا الحب نتيجة لنوع التربية التى تلقتها أنجى وللظروف المحيطة بها .. فوالد أنجى كان كثير السفر إلى الخارج ، وكانت الشهور التى

يقضيها فى مصر ، يتغيب خلالها كثيرا عن البيت .. كانت له عشيقة يقضى معها معظم الليل ويعود إلى بيته فى الفجر لمجرد الحرص على المظهر العائلى .. كما كان يتناول الغداء خارج البيت معظم أيام الأسبوع .. ولم تكن بينه وبين زوجته أية علاقة زوجية .. وقد عاش الأب هذه الحياة منذ ولادة أنجى .. واستسلمت الأم لأنانية زوجها .. وحاولت أن تستعين بأبنتها عن زوجها .. حاولت أن تشغل بأبنتها كل فراغها ، وأن تستمد منها ما ينقصها من حنان واهتمام .. فكانت النتيجة أن أصبحت — دون أن تدرى أو تتعمد — أما أنانية ، تبخل على أبنتها بحياة خاصة ، لتحتفظ بها لنفسها .. تحتفظ بعواطفها وكل دقيقة من عمر الصغيرة .

ونشأت أنجى فى هذه البيئة .. بيت ليس فيه إنسان تحبه إلا أمها .. وأمها لا تتركها لحظة .. بل لا تتركها تفكر أو تحكم إحساسها .. إنها — أى الأم - تفكر لها .. وتحس بالنيابة عنها وتنقل إليها الإحساس .. ثم انه ليس حول أنجى مجتمع بالمعنى الكامل ، سوى مجتمع قاتم يضم بعض سيدات عائلة أمها .. حتى مجتمع المدرسة حرمت منه أنجى فقد أدخلتها أمها المدرسة فى سن متأخرة .. وكانت قبل ذلك تستحضر لها المدرسات فى البيت ، وتجلس معها طوال فترة الدرس .. وبعد أن دخلت المدرسة كانت الأم تلتمس أتفه الأعذار لتمنعها من الذهاب إليها ، وتجلسها بجانبها فى البيت ..

وكانت النتيجة أن نشأت أنجى فتاة منطوية ، مسلوبة الشخصية .. أعطت لأمها كل حياتها .. أعطتها عقلها ، وعواطفها ، وشخصيتها ..

وتكون هذا النوع العجيب مـن الحب .. وأنا لا اسميه حبا .. ولكنه نوع من سلب الإرادة ..

وسألت الأم سؤالا مفاجئا :

ــ ازاى كنتى بتبوسى أنجى ؟

ودهشت الأم من السـؤال ، وأكثـر من الـدهشة ، فقـد بـدا عليها الضيق عندما سمعته .. ولكنه كان سؤالا هاما فى نظرى ، بعـد أن علمت أن أنجى كـانـت تفـرط فى تقبيل أمهـا ، دون اعتراض من الأم ..

وأجابت الأم فى عصبية :

ــ زى ما كل أم بتبوس بنتها ..

وعدت أسألها :

ــ كانت بتبوسك من شفايفك ؟

وسكتت الأم قليلا ثم قالت ، وهى لا تنظر إلىَّ :

ــ أحيانا ..

وفسرت «أحيانـا» على أنها «غالبا» .. واستطردت الأم قـائلة فى لهجة حادة :

ــ هو عيب لما الأم تبوس بنتها من شفايفها ؟!

قلت بسرعة :

ــ لا .. أبدا ..

ثم عدت أسألها :

ــ وفضلت أنجى تبـوسك كتير حتى بعد مـا كبرت .. مش كده ؟

قالت كأنها تتحدانى :

ــ طبعا .. مش بنتى

وهززت رأسى موافقا ..

وعدت إلى تحليل حالة أنجى ..

وكنت أقصد بسؤال الأم عن الطريقة التى تقبل بها ابنتها ، أن أحدد نوع الاتجاه الجنسى فى شخصية أنجى .. فأنجى فى الثامنة عشرة من عمرها ، ورغم ذلك فليس فى حياتها أية علاقة عاطفية تحدد اتجاهها الجنسى .. بل ليس فى حياتها أى شاب على الاطلاق حتى دون أن تربطها به علاقة عاطفية .. فأين ذهب اتجاهها الجنسى ..

إنه أيضا ذهب إلى أمها .. أو على الأصح .. استولت عليه أمها .. وليس معنى ذلك أن هناك علاقة جنسية شاذة بين الأم وابنتها .. أبدا .. كل ما هنالك أن الاحساس الجنسى اعتقل داخل عاطفتها نحو أمها .. ولم يجد منفذا للانطلاق إلا فى هذه القبلات التى تتبادلها مع أمها .. وتفرط فيها ..

فإذا عرفنا أن الأم أيضا محرومة جنسيا ، لأنها سيدة شريفة محافظة هجر زوجها فراشها .. عرفنا لماذا كانت تشجع ابنتها على الافراط فى تقبيلها ، بل تأكدنا أن الأم هى التى غرزت فى ابنتها عادة التقبيل ، وخصوصا تقبيل الشفاه ..

وكان هذا عنصرا هاما آخر فى تعقيد شخصية أنجى ، وفى نشوء هذا الحب الغريب بينها وبين أمها .. حتى أنها عندما تصورت أن أمها قد تموت يوما ـ كما يتصور كل منا أن أحد أحبائه قد مات ـ لم تستطع أن تهرب من هذه الفكرة .. واستسلمت لها إلى حد أن أعتقدت أن أمها قد ماتت فعلا .. وعندما رأتها أمامها اعتقدت أن ما رأته هو شبح يؤرقها ويعذبها بشعور الخوف والخجل ثم الشعور بالذنب الذى

نحس به جميعا عندما نستسلم لفكرة أن من نحبه قد مات إلى أن يبلغ تفكيرنا حد التمنى أن يموت .. ثم حاولت أنجى أن تتخلص من هذا الشبح بأن تقتله بالسكين .. دون أن تدرى أنها حاولت قتل أمها ..

وهناك حقيقة هامة أخرى عرفتها .

فقد تصورت أنجى أن أمها قد ماتت ، فى نفس اليوم الذى ماتت فيه خالتها فيفى بالسكتة القلبية ..

لماذا ؟

لقد ألححت فى أسئلتى على الأم حتى عرفت أنها منذ حوالى اثنى عشر عاما - وأنجى فى السادسة من عمرها - اعتقدت أنها مريضة بالقلب .. وبدأت تشكو من قلبها .. ورغم أن الطبيب أكد لها - للأم - أن قلبها سليم ، وأن كل ما تشكو منه هو أضطراب فى معدتها يسبب اضطرابا فى قلبها .. ورغم أنها شفيت فعلا ، ولم تعد تشكو من قلبها طوال هذه السنين .. إلا أن شكواها ظلت راسبة فى عقل أنجى الباطن .. فلما سمعت - وهى فى حالتها الشاذة - أن خالتها فيفى ماتت بالسكتة القلبية تحركت الرواسب فى عقلها الباطن .. واعتقدت أن أمها هى التى ماتت ، وكانت فى حالتها - حالة تصور موت أمها - مستعدة لتلقى هذا الاعتقاد .. بل كان هذا الاعتقاد يريحها من نوبات الشك التى تنتابها عندما يتصارع وعيها مع جنونها ..

كل ذلك وصلت إليه ، وأنجى راقدة فى فراشها هائمة فى جنونها .. تفتح عينيها وتنظر إلىّ كأنها لا تعرفنى ، ولا تهتم بأن تعرف من أنا .. إنما تستسلم لتصوراتها .. وتردد أحيانا كلمة «ماما» .. ثم تبكى ..

وكنت أكتفى بأن أحقنها بالحقن المقوية ، والحقن التى تنومها ، والحقن التى تنشطها .. وأغذيها بحبوب الفيتامينات ، والاطعمة الخفيفة .. دون أن أحاول أن أفرض عليها نفسى ، أو أبدأ فى سؤالها ، أو أطالبها بالكلام ، منتظرا تطورات حالتها ..

وفى يوم ـ بعد حادث محاولة القتل بستة أيام ـ فتحت انجى عينيها بعد أن نامت طويلا .. ونظرت إلىّ وابتسمت كأنها تعرفنى ، أو كأنها اطمأنت إلىّ من طول ما جلست بجانبها ، ثم نظرت إلى السقف ، وقالت فى هدوء :

ـ أنا حلمت بماما ..

وكتمت لهفتى ، وقلت وأنا أبادلها الابتسام :

كان أيه الحلم ؟

قالت دون أن تهتز :

ـ حلمت أن ماما لسه عايشة .. حسيت كأنى باطير فى الهوا ، ونازلة لتحت .. لتحت .. زى ما أكون نازلة من السما للأرض .. ومرة واحدة لقيت نفسى قاعدة جنب ماما..

وسكتت ..

وسألتها بلا اهتمام وأنا أبتسم ابتسامة ساخرة كأنى لا أصدق حلمها :

ـ كنت قاعدة جنبها فين ؟

قالت بسرعة :

ـ فى أودتها .. وكنت بابوسها .. بستها كتير خالص ..

واستطردت أنجى تروى تفاصيل أكثر عن حلمها .. وأنا أحاول أن أبحث عن تحليل لهذا الحلم .. واكتشفت حقيقة غريبة ..

فالاحلام دائما هى تنفيس للعقل الباطن ..

ولكن عقل أنجى الباطن يعتقد أن أمهـا قد ماتت .. فلا يمكن أن ينطلق منه حلم بأن الأم لا تزال على قيد الحياة ..

فمن أين انطلق هذا الحلم ..

إنه انطلق من العقل الواعى الـذى يعرف أن الأم لا تزال على قيد الحيـاة .. وكل ما حدث هـو أن عقل أنجى الواعى سقط إلى مكان العقل الباطن .. أى إلى منطقة اللاشعور .. وعقلها الباطن ارتفع إلى عقلها الواعى .. أى منطقة الشعور..

فأصبح العقل الواعى ، هو الذى يحلم ..

والعقل الباطن هو الذى يفكر ..

هل فهمتم هذا التحليل ، الذى أسميه «سقوط العقل»؟!

قد يكون تحليلا معقدا ، ولكن يكفى لكى نفهمه ، أن نتصور إنسانا يسير على يديه ، ويأكل بقـدميه .. فهذه هى حالة أنجى بين عقلها الواعى ، وعقلها الباطن ..

وقد كـان هذا الحلم الـذى راود أنجى .. ووجـدت فى نفسها القـوة لترويـه لى ، منفذا كبيرا ، استطيـع أن أنفذ منـه لأبـدأ فى علاجها النفسى ..

وقلت لها وأنا أهز رأسى أسفا :

ـــ مين كان يصـدق أن ماما تموت .. دى عمـرها مـا كانت عيانة ولا اشتكت من حاجة ..

وقد أردت بكلامـى هذا أن لا أهز اعتقادها بأن أمهـا ماتت، حتى لا تفزع وتنتـابها نوبـة أخرى من نـوبات الاغماء وحتى أعالج حالتهـا من أطرافها ـ أطراف الحالـة ـ لا من صميمها .. ثم لتزداد اطمئنانا إلىّ وثقة بى ..

وقالت أنجى :

— لا .. كانت بتشتكى .. كانت عيانة ..

قلت وأنا أدعى الدهشة :

— كانت عيانة بايه ؟!

قالت فى ثقة :

— بقلبها .. طول عمرها كانت بتشتكى من قلبها ..

قلت :

— امتى اشتكت من قلبها ..

وتعقد جبين أنجى .. واكفهر وجهها .. وبدأت أنفاسها تتهدج .. ثم قالت :

— طول عمرها ..

وقلت وأنا أهز كتفى بلا مبالاة :

— أنا عمرى ما سمعت أنها اشتكت من حاجة .. ده يوم ما ماتت الناس كلها كانت حاتتجنن ، ما حدش كان راضى يصدق .. وعمرها ما جات لى فى يوم العيادة بتاعتى مع أنها ما كانتش تثق فى دكتور غيرى ..

والتفتت أنجى إلىّ ، ونظرت فى وجهى ، كأنها عرفت شيئا لم تحاول معرفته من قبل .. عرفت أنى دكتور .. ثم تنهدت ، وقالت :

— أنا تعبانة يا دكتور ..

وابتسمت قائلا :

— بلاش دلع يا أنجى .. أنتى ما عندكيش حاجة .. شوية ضعف نتيجة الانيميا .. أنا حاديكى حقنة دلوقت تخليكى زى الوردة .

وابتسمت أنجى ..

وسكتت ..

وقمت لأعد الحقنة ، وأنا أنتظر منها أن تعود إلى الكلام فى موضوع مرض أمها .. ولكنها لم تتكلم .. سكتت طويلا ، إلى أن قررت أن أبدأ أنا الكلام .. وقلت وأنا أنظر فى الحقنة التى أعدها :

— فكرتينى .. صحيح ماما اشتكت نوبة من قلبها .. بس ده كان زمان قوى .. من أكتر من عشر سنين ..

واكفهر وجه أنجى ، وتعقد حاجباها ثم بدأت النظرات فى عينيها تحتد ..

ولم أزد فى كلامى ..

لم ألح عليها بسؤال ..

حقنتها بالدواء المقوى .. ثم مسحت على شعرها بيدى ، واستأذنت منها وخرجت .. وأنا مطمئن إلى أنى وضعت فيها بذرة الشك .. نغزتها بدبوس يعيد المعركة بين عقلها الباطن وعقلها الواعى ..

وتركت البيت ، بعد أن أعدت التنبيه على أمها شكرية هانم ، بأن لا تدخل حجرة ابنتها ، ولا تجعلها تراها ..

وعندما عدت إلى أنجى فى اليوم التالى وجدت وجهها أشد امتقاعا .. وشعرها سائل على وجهها تطل من خلف خصلاته عينان محتدتان مكفهرتان .

وعرفت أن أنجى قضت ليلة متعبة ..

عرفت أن الدبوس الذى نغزتها به قد أثار المعركة من جديد بين عقلها الواعى وعقلها الباطن ..

وفاجأتنى قائلة كأنها تصرخ فى وجهى :

— ماما كانت عيانة .. كانت بتشكى من قلبها .. وأجبتها وأنا أعد لها حقنة الصباح وابتسم فى وجهها :

— ده صحيح .. فاكرة لما كان عندك سبع سنين ؟!

ونظرت إلىّ أنجى وعيناها محتدتان كأنها لا تفهم كلامى .. وعدت أقول لها :

— فاكرة لما كان عندك سبع سنين ..

وغامت عيناها كأنها تبحث بهما عن شىء فى الظلام .. ثم فجأة ابتسمت .. ابتسامة مرحة كأنها ابتسامة طفلة .. وقالت كأنها تهلل :

— فاكرة ..

وانتقلت ابتسامتها إلى عينيها كأنها ترى نفسها وهى فى عمر السابعة ، ولعبها تحيط بها ..

وسألتها وأنا أبادلها ابتسامتها :

— طيب كانت المربية بتاعتك اسمها ايه ؟

قالت بسرعة كأن ذاكرتها بدأت تسبقها :

— فاطمة .. دادا فاطمة .. كانت تخينة ، ودمها خفيف ..

ولاحقتها بسرعة :

— وفاكرة يوم ما عيت ماما واشتكت من قلبها ..

واختفت الابتسامة من فوق شفتيها وعاد وجهها يكفهر .. قالت عابسة :

— فاكرة ..

قلت وأنا أضحك ضحكة خفيفة :

— الله يرحمها كانت دايما تتوهم المرض .. ويوم ما كشفت

عليها اتضح انها مش عيانة بالقلب ولا حاجة .. كان عندها اضطراب فى المعدة .

واتسعت عينا أنجى كأنها ارتعبت ..

ولم أحاول أن أعلق على رعبها .. سكتت .. وحقنتها .. وانصرفت ..

تركتها تجتاز مرحلة أخرى عنيفة من المعركة الدائرة بين عقلها الواعى وعقلها الباطن ..

وبعد ذلك جاءت الخطوة التالية فى العلاج الذى أحاوله..

دخل والد أنجى عليها فى الصباح وقبلها فى جبينها ، وقال فى هدوء :

— طنط فيفى بتسلم عليكى ..

وقفزت أنجى من فراشها كأنها لسعت بالنار ، وصرخت صرخة مبحوحة :

— طنط فيفى مين ؟

وقال الوالد فى هدوء :

— خالتك فيفى ..

وصرخت أنجى صرخة حادة ، وهى تشد فى شعرها ، وتضرب الفراش بقدميها :

— طنط فيفى ماتت .. ماتت .. ماتت ..

وانتظر الأب حتى هدأت أنجى قليلا ، وقال :

— ياشيخة حرام عليكى .. عايزة تموتيها ليه .. دى فى لندن بقالها ست اشهر ..

ونظرت إليه فى ذهول ..

وعاد الأب يتكلم :

ـــ دى حتى كانت بتتكلم فى التليفون مع ولادها .. ولما عرفت أنك عيانة .. قالت انها حاتكلمك فى التليفون بكره ..

وبدأنا نستعد للخدعة الكبرى ..

كان السبب المباشر الذى جعل أنجى تستسلم لعقلها الباطن وتعتقد أن أمها قد ماتت ، هو موت خالتها بالسكتة القلبية ..

وموت خالتها هو حقيقة قائمة فى عقلها الواعى .. فلو استطعت أن أشد هذه الحقيقة ، فربما أيقظت عقلها الواعى ، وشددته إلى أعلى ، إلى رأسها ، واستطاع بذلك ـــ أى عقلها الواعى ـ أن يتغلب على عقلها الباطن ، ويقنعها بأن أمها لم تمت ..

وقد تمت هذه العملية على عدة مراحل ، واستغرقت أكثر من أسبوعين ..

بدأ والد أنجى يحدثها عن خالتها فيفى على اعتبار أنها لا تزال على قيد الحياة ، ومقيمة فى لندن .. ولم يكن يترك لانجى فرصة لمناقشته بل كان يلقى إليها أخبارا ، ثم يتركها قبل أن تناقشه ..

وبعد أسبوع دخل إليها والدها مهللا وفى يده خطاب ، وصاح :

ـــ خالتك فيفى بعتت جواب وبتسأل عليكى ..

وأمسكت أنجى بالخطاب ، ونظرت فيه بعينين مذهولتين، ثم بدأت تقرأه ..

وكنا قد تعمدنا ـــ زيادة فى الاحتياط ـ أن نقلد خط المرحومة

فيفى ، كما تعمدنا أن نضعه فى ظرف عليه طوابع بريد انجليزية ..

ولم تتم أنجى قراءة الخطاب ..

سقط من يدها ..

وظلت فترة طويلة ذاهلة وعيناها معلقتان فى السقف . ثم فجأة صرخت صرخة حادة .. وانتفضت من فراشها ، وأخذت تدور فى الحجرة وتحطم كل شىء تصادفه .. ثم سقطت على الأرض مغميا عليها ..

واعتبرت هذه الأزمة أول بوادر الخطة ..

وقد ظلت حالة أنجى تسوء بعد ذلك يوما بعد يوم .. عاودها الهزال بعد أن كانت قد استردت بعض قوتها .. وبدأت تميل إلى الوحدة كثيرا .. وتبكى كثيرا .. وتصيبها بين الحين والحين نوبات أشبه بنوبات الصرع ..

ورغم أنها كانت تمزق قلبى ، إلا انى لم أحاول أن أنقذها من هذه النوبات .. لم أحقنها بمخدر لأريحها .. بل تركتها تتعذب .. وتتعذب أكثر .. فقد كنت أعرف أنها يجب أن تمر فى هذه المرحلة ..

كنت أعرف أنها تعود من نفس الطريق الذى أدى بها إلى الاعتقاد بأن أمها قد ماتت ..

و ..

وكان يمكن لو تركت أنجى عند هذا الحد ، أن تنتهى أزمتها إلى ما انتهت إليه فى مبدأ الأمر .. أى إلى انتصار عقلها الباطن على عقلها الواعى ، والاستسلام إلى الاعتقاد بان أمها قد ماتت.. والاستسلام هو أقصر طريق للراحة من العذاب ..

ولكن ..

قبل أن تصل أنجى إلى مرحلة الاستسلام ، بدأنا الخطوة التالية ..

دخل عليها والدها مهللا ، وقال :

— خالتك فيفى حاتكلمك فى التليفون النهار ده الساعة سبعة ..

وكانت الساعة عندئذ ، الخامسة مساء ..

وقضت أنجى هاتين الساعتين فى ذهول .. ووجهها يزداد امتقاعا كل دقيقة حتى أصبح كوجوه الموتى ، وعيناها تجحظان ، وشفتاها ترتعشان وتجفان ، وأنفاسها تتهدج ..

وفى الساعة السابعة ، دق جرس التليفون ..

وكنا قد اتفقنا مع عامل التليفون فى مكتب والد إنجى ، أن يتبع كل الاجراءات المتبعة فى التحدث مع لندن ، وأن يعبث بخطوط التليفون بحيث يبدو الصوت بعيدا مقطعا .

كما اتفقنا مع احدى سيدات العائلة على أن تقلد صوت المرحومة فيفى ، وتقلد طريقتها فى الكلام ..

وحمل والد أنجى التليفون إليها فى فراشها ..

وأمسكت أنجى السماعة بيد معروقة ترتعش .. وسمعت صوت خالتها .. وقالت على الفور بصوت مبحوح :

— انتى مين ؟!

وأجابت السيدة التى تقلد المرحومة :

— أنا خالتك .. طنط فيفى .. مش عارفانى .. ازيك ياحبيبتى .. و ..

وسقطت السماعة من يد أنجى ..

وزاد تهدج أنفاسها ..

ثم أغمى عليها ..

وتركتها مغمى عليها ..

وفى نفس الليلة .. فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. قامت أنجى من فراشها مذعورة .. وهى تصرخ :

— ماما .. ماما ..

ثم جرت حافية القدمين نحو حجرة أمها .. وفتحت الباب .. ثم ألقت نفسها بين ذراعى أمها ، وهى لا تزال تصيح :

— ماما .. ماما ..

واحتضنتها الأم فى صدرها ، وقالت وهى تكتم فرحتها:

— مالك يا حبيبتى .. مالك يا أنجى ..

وقالت أنجى ، وهى تخفى وجهها فى صدر أمها :

— خايفة يا ماما .. خايفة ..

وقالت الأم :

— لازم حلمتى حلم وحش ..

ورفعت أنجى رأسها ، ونظرت إلى أمها ، وقالت وأنفاسها تتهدج كأنها عادت من مشوار طويل قطعته جريا:

— أيوه يا ماما .. حلمت حلم وحش خالص .. حلمت إنك بعيد الشر ، حصلك حاجة ..

وربتت الأم على ظهر ابنتها ، وقالت :

— ما تخفيش يا بنتى .. أنا حافضل عايشة طول ما انتى عايشة وكويسة ..

●●●

وهكذا أنقذت أنجى ..

أنقذتها بأن تركتها تعود من نفس الطريق الذى سارت فيه، فاستطاع عقلها الواعى أن ينتصر على عقلها الباطن .. ارتفع العقل الواعى إلى مكانه، وسقط العقل الباطن فى مكانه ..

ولكن ..

انى لم أنقذ أنجى إلا من حالة معينة بالذات، وهى حالة اعتقادها أن أمها قد ماتت .. ولكنها لا تزال معرضة للجنون.. وقد تعاودها مرة ثانية نفس الفكرة وتحاول أن تقتل أمها .. وقد تقتلها فعلا ..

والعلاج الأساسى هو أن تتغير حياة أنجى كلها ..

وشرحت للأم تفاصيل الحالة .. وقلت لها أنها أم أنانية سلبت شخصية ابنتها .. وقد لا يكون الحب وحده هو الذى دفع أنجى إلى الخوف على أمها من الموت، ثم الاستسلام إلى هذا الخوف إلى حد أن تعتقد أن الأم قد ماتت فعلا .. بل قد يكون هناك دافع آخر .. وهو الرغبة المكبوتة فى صدر أنجى للتخلص من حبها لأمها .. هذا الحب الذى يسلبها شخصيتها وإرادتها ..

والطريقة الوحيدة هى أن تعيد الأم شخصية ابنتها .. أن تتركها حرة .. أن تعودها على أن تخرج وحدها .. وأن تتصرف وحدها .. وأن تكوّن رأيها بنفسها .. ثم تحيطها بمجتمع مرح من الشبان والبنات .. وتشجعها على أن يكون لها حب خاص .. أن يكون لها حبيب شاب ..

ووعدت الأم ..

●●●

لقد حدثت هذه «الحالة» منذ عامين، وكتبتها فى الأسبوع

الماضى فقط ، بعد أن قابلت أنجى فى السينما ومعها شاب تتعلق فى ذراعه ..

إنها سعيدة ..

السعادة تقفز من عينيها ، وترقص فوق وجنتيها ، ولو أنها لا تزال تعانى بعض الهزال ..

وقدمت الشاب إلىّ قائلة :

— خطيبى ..



الكلمة الناقصة
• مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة • مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة • مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة •

— كنت فى عيـــادتى ذات يـــوم أزاول عملى، وابلغنى مســاعدى خلال الفترة التــى اقضيها فى راحة بين الانتهاء من مــريض واستقبال مريض آخــر.. وهــى فترة لاتــزيـــد على خمس دقــائق.. ابلغنى ان عباس «بيه» عبداللــه، يريد أن يرانى.. وكنت أسمع عن عبــاس بيه.. كلكم سمعتم عنه.. وعن شركــاته وثــرائه.. وتملكنى فضول عجيب.. فإن مثل هذا الرجل لايمكن أن يعترف بأن هناك مــا يسمى أمراضا نفسية.. وإذا اعترف بوجــود مثل هذه الأمــراض، فهو لايلجأ إلى الطبيب النفسى أبــدا.. وإذا اضطر إلى اللجــوء إليه فهــو يختار طبيبــا أجنبيا فى بلد أجنبى، حتى يأمن إلى أن سره لن يذاع.. ورغم ذلك فقــد تملكتنى نزعــة الاعتــزاز بكرامــة العلم، وبــالنظام الــذى وضعته لاستقبال مرضــاى والذى يقضى بألا أستقبل أحدا إلا بعد تحديد موعد، وقلت للمساعد :

— حدد له ميعاد !

وقال المساعد :

— حاولت .. لكنه مصمم ..

وفكرت قليلا ثم قلت :

— خليه مستنى لغاية ما أخلص من كل الزوار ..

وأنـا أستعمل دائما فى عملى كلمـة «زائر»، بـدلا من كلمـة «مريض»..

وانتظر عباس بيه.. انتظر طـويلا.. واستقبلته فى السـاعة العـاشرة مسـاء.. ونظـرت فى عينيـه لعلى أستطيع أن أستطلع حـالته النفسيـة، ومظاهـر مرضـه.. ولكن لم يكن يبدو عليـه مرض.. كل ما فى عينيه لهفة وجزع ..

وجلست إلى مكتبى، وأخرجت ورقـة أسجل فيها مـا أحتاج إليـه من بيانـات، وقلت فى لهجة هـادئة وبين شفتى ابتسامـة مطمئنة :

— اسم حضرتك ؟

وقال عباس بيه ، وشفتاه ممتعضتان كأنى أهنته :

— أنـا مش جـاى لك علشانـى.. أنا جـايلك علشـان ابنى عصـام.. بتنتـابه سـاعـات حـالات غريبـة.. يقفل على نفسـه الأوضـه ويفضل يزعق، ويمسك أى حـاجـة يلاقيهـا قدامـه، ويـرميها فى الشـارع.. ونـوبة لقى قـدامـه سكينة، قطع بيهـا شريانـه.. ودخلوا عليـه لقوه قـاعد يبص للـدم اللى بينزف من ايده، ويعيط ..

قلت كأنى لم أسمع شيئا غريبا :

— عنده كام سنة ؟

قال :

— خمسة وعشرين ..

قلت :

— والحالات دى بتحصل له من إمتى ؟

قال :

— مش كتير.. ده شاب هادى ورقيق، وخجول.. و..
قلت أقاطعه :
— متى ابتدأت الحالات دى تحصل له ؟
قال بعد أن فكر قليلا :
— من خمس سنين ..
قلت :
— ما تفتكرش حاجة حصلت له من خمس سنين ؟
قال :
— أبدا .. ده كان طول عمره فى مدرسة داخلية.. من يوم ما توفت والدته حطيته فى مدرسة داخلية.. وطول عمره ناجح.. وعمره ما اشتكى من حاجة.. وبعد ماخد التوجيهية، قعد معايا فى البيت ودخل كلية التجارة، ونجح السنة دى بدرجة ممتازة..
قلت :
— حضرتك اتجوزت بعد والدته ماتوفت ؟
وفهم عباس بيه معنى سؤالى فأجاب بسرعة :
— أيوه .. إنما ده بيحب مراتى قوى.. عمرهم ما اتخانقوا مع بعض، ولا قامت بينهم مشكلة.. ده حتى لما بازعل مع مراتى، بيقف هو فى صفها.. دايما فى صفها ..
قلت وأنا أسجل ما أسمعه فى مذكرة أمامى :
— الحالات دى بتحصل له كل أد إيه..كل جمعه..كل شهر..
قال :
— قليل جدا .. يمكن يعقد بالشهور وهو عادى.. ومره واحدة تحصل الأزمة.. ويمكن تتكرر مرتين تلاتة فى شهر واحد..

قلت :

— امتى تكررت فى شهر واحد ؟

وصمت طويلا ليتذكر ، ثم قال :

— السنة اللى فاتت .. زى اليومين دول ؟

قلت :

— يعنى فى الصيف ؟!

قال كأنى ساعدته على التذكر :

— فعلا .. فى الصيف.. الحالات دى دايما بتحصل له فى الصيف.. دلوقت افتكرت !.

قلت :

— ما لاحظتش عليه حاجة غير الحالات دى.. يعنى لما بيكون هادى مافيش حاجة غريبة بتلفت نظرك فيه ؟.

قال :

— أبدا .. يمكن بس كلامه قليل.. طول عمره ما يحبش يتكلم كتير .. دايما ساكت ..

واكتفيت بهذا القدر من الأسئلة.. وسكت طويلا أحاول أن أراجع فى رأسى هذه المعلومات التى حصلت عليها.. وقال عباس بيه يتعجلنى :

— رأيك إيه يا دكتور ؟

قلت :

— لازم أشوفه ..

قال فى جزع :

— تشوفه .. تشوفه ازاى. عايزنى أروح أقول له انت مجنون وتعال أوديك لدكتور مجانين.. مش ممكن. ده بيتأثر

من أقل حـاجة.. شعـوره رقيق جدا.. مـاتقدرش تقـول لى على حاجة أعالجه بيها من غير ما يدرى ..

قلت فى هدوء :

— لازم أشوفه ..

قال :

— وأجيبه لغاية هنا ازاى ؟

قلت :

— فهمه بصراحة انه عيان، وأنه لازم يروح للدكتور..

قال :

ـ مش ممكن..

وقلت وأنا أبتسم فى ثقة لأطمئنه، وأقوم واقفا لأنهى الزيارة :

— مـاتخافش.. أنـا متأكـد أنـه حـايسمع كـلامك، ويجى بنفسه لغاية هنا ..

ثم راجعت قائمة المواعيد ، واستطردت قائلا :

— أنا مستنيه يوم الخميس السـاعة ستة.. وأحسن تخليه يجى لوحده.. ماتجيش معاه..

وخرج عباس بيه عبدالله ..

وقضيت الأيام وأنا متلهف للقـاء عصام.. لا لأنه من الطبقة الغنيـة.. ان كل زبـائنى من الطبقـة الغنيـة.. والأغنيـاء أكثـر تعرضا للأمراض النفسيـة من الفقراء.. فالفقير يجد فى متاعب البحث عن رزقه مايشغله عن نفسـه، وما يلهى عقده الدفين فى عقلـه البـاطن، من الانطـلاق.. أمـا الغنى، فإن فـراغ حيـاتـه، وسهولـة رزقه يجعله أكثـر مخاطبة لنفسه ويجعل انطـلاقات العقد النفسيـة الدفينـة أكثر احتمالا.. ولكنى كنت أتلهف على

مقابلـة عصام، لأن حـالته فى نظـرى مثيرة خطرة.. حـالة من حالات الدرجة الأولى ..

وجاء عصام ..

ونظـرت إليـه النظرة الأولى.. انـه شـاب وسيم.. أكثـر من وسيم، إنـه جميل.. جبينه عـال، وعيناه عسليتـان عميقتان، فى نظـراتهما حـزن صـامت يثير الحنـان.. وحـاجبـاه كثيفـان مقرونان.. وأنفه رومانى.. وشفتـاه مليئتان.. وقوامه ممشوق كأنه يمارس نـوعا من الألعـاب الريـاضية.. انـه شاب يخطف القلب.. لا تتمالك نفسك من أن تحبـه وتعجب بـه.. والنظـرة الأولى لها أهميـة كبيرة عنـدى، إنها تسجـل التأثير الخارجى للشـخصيـة.. وقـد استعجبت عندمـا أحسست بأن شخصيـة عصام قوية، تبدو كأن لا ضعف فيها، ولا اعوجاج..

وجلست إلى مكتبى.. وجلس قبـالتى.. وهـو لاينظـر إلىّ.. وقلت له وأنا أسجل فى مذكراتى :

— اسمك ؟..

وسكت برهة، ثم تنهد قبل أن يجيب، وقال بلهجة ساخرة :

— لازم والدى قال لك على اسمى ..

وابتسمت وكتبت فى مذكرتى وأنا أردد بشفتى :

— عصام بيه عبدالله ..

ثم رفعت رأسى إليه ، واستطردت قائلا :

— ولا عصام عبدالله بس ..

قال وهو مصر على لهجته التهكمية.. ومصر على ألا ينظر إلىّ :

— الاثنين صح !

انه شخصية متمردة.. وزوار عيـادتى ينقسمون إلى نوعين

من النــاس.. نــوع يأتى إلى الطبيب النفســانى ويبــالغ فى سرد مظـاهر مـرضــه، فيكذب، ويخترع القصص، وكأنـه يحس أن مجرد حقيقـة مــا يعـانيـه لاتكفى لإرضــاء الطبيب وإثـارة اهتمامه.. ونــوع من الناس يأتى وقد قرر بينــه وبين نفسـه أن يتمـرد على الطبيب وأن يعانـده، وأن يتحـداه.. كأنـه يريـد أن يتلذذ بحيرة الطبيب فيـه، وكأنه يعتبر فشل الطبيب فى عـلاجه انتصـارا له.. ويبدو أن عصام من هذا النوع الأخير..

وقد صبرت عليه ..

أخذت أسألـه الأسئلة الروتينيــة التى أسألها لكل مريض، وهــو يجيب فى كلمات قليلة جـدا.. ويتهكم.. وفى تهكمه ذكـاء.. ولايريد أن يواجهنى أو ينظر فى عينى..

وقلت له بعـد أن انتهيت من أسئلتى، وأنــا أشير إلى الأريكة الجلدية التى تعود أن يرقد عليها مرضـاى :

— تسمح ترقد على الكنبة دى ..

وهز كتفيـه ساخـرا، وقام فى تكـاسل، ورقـد على الأريكة.. وجلست أنا على مقعد موضوع خلـف رأسه وفى يدى قلم ونوتة المذكرات ثم تذكـرت شيئا فمددت يدى وأمسكت بـرسغه، وأنا أقول :

— تسمح ..

وترك لى رسغه لأقيس نبضــه.. وقد اردت قياس نبضه لأن والده قـال لى أن الحـالات العصبية تنتــابه فى شهـور الصيف.. وقـد كنـا فى يوم شــديـد الحرارة، فأردت أن أعـرف إذا كـانت لحرارة الصيف أى تأثير فى جسمــه.. ولكنى وجدت أن نبضــه عادى.. بل لم يكن يبـدو عليه أنه متضــايق من الحـر.. كنت أنا

متضايق من الحرارة أكثر منه..

وقلت بعد أن تركت رشفه واعتدلت فى جلستى :

— اتفضل اتكلم ..

وسكت.. لم يتكلم.. ولم يرد علىّ..

قلت :

— اتكلم ، لو سمحت ..

قال فى كلمات بطيئة ساخرة :

— أتكلم .. أقول إيه ؟

قلت وأنا لا أحاول أن أضع فى لهجتى حنانا.. فإن من واجب الطبيب النفسى، أن لا يسلط على المريض أى نوع من أنواع العاطفة، حتى يراه على حقيقته :

— انت متعلم يا عصام.. وعارف ازاى الطبيب النفسى بيعالج الناس.. اتكلم.. قول أى حاجة تخطر على بالك.. اتكلم عن نفسك.. عن تاريخ حياتك..

قال فى برود :

— ماليش نفس أتكلم ..

فقمت من على مقعدى، واتجهت إلى مكتبى، وألقيت القلم والنوتة من يدى، وقلت فى لهجة عادية :

— إن شغلتى أن أساعدك يا عصام.. وأول شروط المساعدة أنك تقبلها.. ومادمت مش قابل مساعدتى.. يبقى مافيش فايدة.. أنا آسف.. الزيارة انتهت..

ورفع عصام ظهره من فوق الأريكة.. ونظر إلىّ.. وضع عينيه فى عينىّ.. كأنه يريد أن يتأكد مما إذا كنت جادا فى قولى.. ثم ظهرت علامات التردد على وجهه، ونظرة حيرى فى عينيه..

ثم عاد وألقى ظهره على مسند الأريكة.. وبدأ يتكلم من تلقاء نفسه..

عدت إلى مقعدى خلف رأسه ..

وقد بدأ كلامه بطيئا مترددا.. ولاحظت أنه اختار أن يتكلم عن ذكرياته عندما كان طالبا فى القسم الداخلى بمدرسة الليسيه.. وأنه بدأ الحديث عن ذكرياته عندما كان فى العاشرة من عمره.. ولاحظت أنه عندما يتكلم عن أبيه يقول «والدى».. لم يخطىء أبدا ويقول : «بابا».. ثم بعد ذلك فليس فى حياته المدرسية شىء شاذ.. أو يثير الانتباه، سوى أنه يحب الموسيقى.. ويستمع كثيرا إلى الموسيقى الكلاسيكية.. وأنه لم يسم صديقا بالذات من زملائه بالمدرسة.. وكان دوره فى أغلب القصص التى رواها، دور الشاهد..

ومع مرور الوقت، تحرر عصام من تردده.. وأخذ يتكلم بانطلاق كأنه نسى وجودى.. وكان يضحك أحيانا وهو يروى بعض النوادر المدرسية.. وظل يتكلم قرابة ساعة حتى تعب من الكلام، وتعبت أنا الآخر.. فاكتفيت بجلسة هذا اليوم.. وعندما قام منصرفا، شد على يدى، ونظر في عيني كأنه يشكرنى.. وتواعدنا على جلسة أخرى يوم السبت..

وبعد أن خرج عصام، سجلت فى مذكراتى :

«يهرب من طولته ....»

«انطوائى ....»

«العلاقة بينه وبين والده ليست طبيعية ....»

وقضيت اليوم التالى أفكر فى عصام وأستعرض حالته أكثر من تفكيرى فى مريض آخر من مرضاى.. ولا أنكر أنى أحببته،

وأنى كنت ملهوفا على إنقاذه، واكتشاف سر الغابة المتوحشة التى ترقد فى أعماقه ..

وجاء عصام إلى الجلسة الثانية ..

وبدأ يتكلم ..

ولاحظت أنه بدأ يتكلم عن حياته وهو طالب فى الجامعة.. كان مسرح حديثه هو كلية التجارة.. لم يذكر شيئا أبدا عن حياته فى بيته وفى بيت أبيه.. وهو دائما يقول «والدى» ولا يقول أبدا «بابا» ..

ولم أخرج من الجلسة الثانية بشىء.. إلا إحساسه بالراحة بعد أن يتحدث إلىّ..

وفى الجلسة الثالثة.. رقد على الأريكة.. ولاحظت أنه تردد كثيرا قبل أن يبدأ فى الكلام.. ثم إذا به يعود إلى الكلام عن ذكرياته فى مدرسة الليسيه.. ثم فجأة قطع حديثه وقال وهو يعتدل فى جلسته :

— أنا تعبان النهاردة.. ماليش نفس أتكلم .

قلت مبتسما :

— وأنا كمان ماليش نفس أسمع.. بس خليك قاعد تسلينى لغاية ماييجى ميعاد الزائر اللى بعديك..

وجلس فوق الأريكة صامتا، وسألته بلا اهتمام :

— انت كنت بتقضى أجازتك فين وانت صغير ؟

قال :

— فى اسكندرية ..

قلت :

— مع والدك ؟

قال :

— لأ .. مع عمتى ..

وسكت .. وأخذت أحدثه عن ذكرياتى أنا في الاسكندرية عندما كنت شابا، وعن أجازاتى التى أقضيها فى أوروبا، حتى أشعره بأننا نتحادث كأصدقاء، لا كطبيب ومريض.. ثم بدأت أحدثه عن مغامرات شبابى.. عن البنات اللواتى عرفتهن.. وتعمدت أن أفيض فى تفاصيل هذه المغامرات، وكلها تفاصيل كاذبة، أو تفاصيل بعض المغامرات التى تعودت أن أسمعها من مرضاى، أخذتها منهم ونسبتها لنفسى، ثم سألته فجأة :

— انت مالكش مغامرات غرامية يا عصام ؟

والتفت إلىّ لفتة سريعة حادة، وقال وقد برقت عيناه :

— لأ.. ماليش.. ماليش.. عمرى ما عرفت بنت..

قلت وأنا هادىء دون أن يهتز منى رمش :

— غريبة، تعرف انى أول ما شفتك افتكرت ان كل كلامك حايبقى عن البنات ..

قال محتدا وهو يقوم منتفضا من مقعده :

— انت فاكر انى جاى هنا علشان نقعد نتكلم عن البنات.. ماتيجى نروح نقعد فى النادى أحسن، ولا نقعد على قهوة.. ولم أرد عليه.. ركزت عينى عليه، منتظرا أى حركة تبدو منه.. ولكنه أدار ظهره لى وخرج دون أن يجيبنى..

وشعرت يومها بالفشل.. خيل إلىّ أنى فتحت الجرح قبل أوانه.. وسجلت فى مذكراتى جملة واحدة، أضفتها على ملاحظاتى السابقة :

« له علاقة غرامية شاذة ...... »

وكنت قد اتفقت مع عصام على أن تكون جلساتنا بمعدل كل يومين جلسة.. وانتظرت الجلسة التالية بفروغ صبر.. وجاءت الساعة السادسة، ولم يدخل عصام.. وناديت مساعدى، وسألته عنه.. انه لم يحضر.. والساعة السادسة والنصف.. والسابعة ولم يحضر..

وبدأت أعانى إحساسا بالضيق.. وهممت بأن أتصل بوالده تليفونيا وأسأله عنه.. واطمئن عليه.. ولكنى فضلت ألا أفعل.. أن أتجاهله.. ان عصام تعمد ألا يحضر.. انه يمر بمرحلة تمرد علىّ.. ومن الخير أن أتجاهله حتى لا أثير عناده.. وحتى لا أبدى له من الاهتمام ما يجعله ينفر منى..

وتجاهلته ..

وكنت واثقا من أنه سيعود إلىّ يوما ما من تلقاء نفسه.. ولكن مضى أسبوع وأسبوعان وهو لايحضر.. وأنا لا أستطيع أن أنساه.. وبدأت أفقد ثقتى فى تقديرى.. وعدت أفكر مرة ثانية فى الاتصال به، ولكنى قاومت.. قاومت لهفتى الشديدة على اكتشاف نفسيته.. لو أنى ضعفت فى يوم من هذه الأيام واتصلت به، لخسرته، وضاعت منى فرصة شفائه..

وبعد أسبوعين جاء عصام.. كان وجهه ممتقعا.. وعيناه مكدودتين.. واستقبلته استقبالا عاديا.. ضغطت على أعصابى حتى لايبدو على شىء مما عانيته فى انتظاره.. وجلس على المقعد المجاور لمكتبى، وهو لا ينظر إلى وجهى. تماما كما جاء أول مرة.. وقلت له فى صوت هادىء :

— ازيك يا عصام ؟

ولم يجبنى.. قام من تلقاء نفسه، واستلقى على الأريكة،

وقال فى صوت منهك :

— انا تعبان.. أنا زهقان.. عايز أسافر.. عايز أهاجر من البلد دى.. مش عايز أشوف حد من اللى باعرفهم.. عايز أسافر بلد اشتغل فيها.. واكسب.. أسافر السعودية.. ولا لبنان.. ولا سويسرا.. أنا من أيام ما كنت صغير وأنا عايز أسافر..

وظل يتكلم عن تعبه، دون أن أقول شيئا جديدا وقررت وأنا أستمع إليه أن أغير فى طريقة علاجى له.. أن أوجه حديثه بأسلتى، بدلا من أن أتركه يتحدث وحده، وعلى سجيته، وقلت له :

— ماتقول لبابا ، وهو يساعدك على السفر..

وضغطت على كلمة «بابا»، ولكنه قال كأنه لم يسمعها :

— والدى رجل صعب.. صعب قوى..

قلت بسرعة :

— آخر مرة اختلفتم فيها امتى.. أو يعنى اتناقشتم مع بعض ؟

قال وهو ناظر أمامه :

— ما اختلفناش.. عمرنا ما اختلفنا.. ولا اتناقشنا.. إنما ده راجل صعب..

قلت وأنا جالس خلف رأسه، وكأنى أجرى له عملية جراحية.. عملية بدون بنج :

— لازم ما بتشوفوش.. لازم مشغول مع مراته..

وأطللت عليه بعينى، فرأيت وجهه الجميل ممتقعا كأنه يعانى ألما حادا.. ثم قال كأنه يتكلم من بعيد :

— مراته مظلومة معاه.. انت ماتعرفش بيعمل فيها إيه.. ده

راجل ظالم.. ماعندوش رحمة.. ماعندوش قلب..

وسكت ..

وقلت دون أن أقصد بسؤالى إلا أن أجعله يستمر فى الكلام :

— يظهر انها صعبانة عليك قوى.. انت بتحبها ؟

وفجأة انتفض من فوق الأريكة.. وقد ازداد امتقاع وجهه.. وصرخ فى وجهى :

— باحبها ازاى.. وازاى تسمح لنفسك تتكلم عن واحدة ست بالشكل ده.. بأى حق تجيب سيرتها.. انت قليل الأدب..

وأطرافه كلها ترتعش.. وشفتاه ترتعشان.. وعيناه متسعتان يلمع فيهما بريق هائل.. بريق أعرفه جيدا.. بريق الجنون..

وأخذت أهبتى لأصد أى اعتداء منه علىّ، دون أن أشعره بأنى أخافه.. عيناه ثابتتان فوق وجهه، ووجهى جامد لا يتحرك..

ولكنه تركنى وخرج..

وسجلت فى مذكراتى :

« له علاقة شاذة بزوجة أبيه .... »

وكنت واثقا هذه المرة أن عصام سيعود إلىّ.. قد أنتظر أسبوعا أو أسبوعين آخرين، ولكنه سيعود.. كنت قد أصبحت واثقا من أن شخصيتى كطبيب قد سيطرت عليه..

وفى الساعة التاسعة.. أى بعد خروج عصام بثلاث ساعات دق جرس التليفون فى مكتبى، وسمعت صوت عباس بيه عبدالله، يقول فى صوت متهدج :

— يا دكتور .. عصام جاءت له الأزمة تانى ..

قلت بسرعة :

— الأزمة لسه عنده ؟

قال :

— لأ.. خلاص.. ودلوقت نايم.. زى المغمى عليه !

قلت وأنا أشعر بخيبة :

— وعمل إيه أثناء الأزمة ؟

قال :

— خطف بطيخة كانت على تربيزة الأكل، ورماها من البلكونة.. وقعد يزعق بأعلى صوته.. زعيق.. مجرد زعيق.. وبعدين كسر لوح قزاز.. وايده اتعورت.. ورجع رمى المخدة بتاعته من البلكونة.. ووقع على الأرض، وقعد يعيط لغاية ماهدى.. أعمل ايه يا دكتور ؟

قلت :

— ولا حاجة.. تانى مرة إذا جات له الأزمة، اتصل بى أول ماتيجى..

ووضعت سماعة التليفون.. وجلست إلى مكتبى، وجمعت كل المذكرات التى سجلت فيها أحاديث عصام، وحديث والده، وملاحظاتى.. وأخذت أراجعها.. وأحاول أن أستخرج منها خيطا واحدا متصلا ينزل بى إلى أعماق عصام..

إنه على علاقة غرامية بزوجة أبيه.. هذا مؤكد.. ولاشك أنهما ارتكبا الخطيئة، فزوجة أبيه سيدة مجتمع لها مغامرات كثيرة معروفة.. ولا يمكن أن تبخل بجسدها على عصام — حتى لو كان ابن زوجها — مادامت قد قررت أن تكون له.. ولابد أن هذه العلاقة بدأت منذ خمس سنوات، بعد أن خرج

عصام من المدرسة الداخلية، وأقام فى بيت أبيه..

ولكن ..

ان مثل هـذه العـلاقـة لايمكن أن تـؤدى إلى هـذا الحد من الجنون.. انها تسبب عقدا نفسية ولكنهـا لا تكفى لتكون عاملا أساسيا لجنون كامل.. ربما كانت عاملا مساعدا للجنون.. فما هو العامل الأصلى ؟

ان عصـام يكره أبـاه.. أو على الأقل، العلاقـة بينهما ليست عاديـة.. وهى ليست عادية منـذ كان عصام طالبـا فى الليسيه، فهو عندما تحدث عن هذه الفترة لم يـذكر والده كثيرا.. وعندما كان يذكـره كان يصمم أن يسميه بلفظ «والدى».. ثـم انه كان يقضى أجازته بعيدا عنه فى بيت عمته بالاسكندرية .

فلماذا يكره عصام أباه ؟

لابد أن هناك سببا ..

ولابد أنه سبب بعيد يرجـع إلى أيام الطفولة.. وعصام يهرب من طفـولتـه.. فماذا حدث لـه أيـام طفـولته، ممـا أدى بـه إلى الانطواء، وأدى إلى كراهيتـه لوالده، ثم أدى أخيرا إلى أن يصبح عشيقا لزوجة أبيه ؟!!

ثم ..

لماذا تنتاب عصـام هذه الحالات الجنـونية فى الصيف.. وفى الصيف بالذات ؟!

ان هناك كلمة ناقصة ..

كلمـة لايهمنى أن أتقصاهـا، وأن أبحث وراءها، بل كل مـا يهمنى أن يعرفها عصام بنفسه، أن يواجه طفولته، ويخرج من أعماقه ما رسب فيها من ذكرياتها ..

وانتظرت عصام ..

ولم ينقض يومان حتى جاء فى موعده.. باهتا.. مهزوزا.. كأنه شفى لتوه من حمى عنيفة.. ويده الجريحة مربوطة بالشاش.. ودخل إلىّ.. ودون أن يصافحنى، أو يحينى بكلمة.. رقد توا على الأريكة وقال وهو ينظر إلى السقف :

— أنا ماشى مع مرات أبويا.. عملت معاها كل حاجة.. أبويا بيخرج من البيت، واحنا نعمل كل حاجة.. باحبها.. لأ.. مابحبهاش.. انما والدى كان بيعذبها.. كان مضطهدها فى عيشتها.. وكان لازم أسعدها.. كان لازم أعوضها بالحب.. حتى لو كنت ما بحبهاش.. وعوضتها.. اديتها كل حاجة.. كان لازم أعمل كده.. دى ست مظلومة.. ماتستهلش العذاب اللى بتشوفه من والدى.. أنا فاكر أول يوم شفتها فيه.. كانت عينها حزينة.. زى ماتكون كانت بتعيط.. قربت منها وفضلت أبص فى عينها.. وبعدين حضنتها.. ماكانش قصدى حاجة إنما هى مارضتش لأنها ست شريفة.. فضلت أتحايل عليها لغاية ما اطمأنت لى.. وحضنتها.. وبوستها فى خدها.. كانت ناقصة حب.. ناقصة حنان.. اديتها الحب والحنان.. وشديتها من إيدها وقعدنا على السرير.. عنيها الحزينة ابتدت تضحك.. حسيت انى خليتها سعيدة..

وفضلت عايش فى بيت والدى، أحميها منه.. وأخليها سعيدة.. كان لازم أعمل كده.. كان لازم أنقذها.. وأنقذ حياتها..

وظل عصام يتحدث ساعتين كاملتين روى خلالهما كل التفاصيل.. أدق التفاصيل.. وأنا لا أقاطعه.. أسجل كل كلمة يقولها..

وخـــرج دون أن يرفع عينيــه إلى وجهى.. ولكنــه كان يبــدو أكثر راحة بعد أن أزاح كل هذا العبء عن صدره..

· واكتشفت فى هذا اليوم شيئا هاما..

أن زوجة الأب لم تغر عصـــام بنفسها، كما كنت أعتقد.. أنما هو الذى أغراها.. هو الذى خطا إليها الخطوة الأولى..

وطبعا لم أصدق مـا قاله عصام عن ظلم أبيـه لزوجته.. إن زوجة عباس بيه عبداللـه لايمكن أن يظلمها أحد.. انها امرأة فى الخامســة والثــلاثين.. عضوة نشطــة فى الجمعيــات الخيريــة، ووجه لامع فى كل حفـلات وسهرات القـاهرة.. وهــذا النوع من النساء لايمكن أن يظلم..

ولكن عصام أقنع نفســه أنها مظلومــة، ليغطى ـ دون وعى منه ـ انطلاق عقدة نفسية راسبــة فى عقله الباطن.. عقدة تدفعه إلى الانتقام من أبيه..

نعم .. الانتقام من أبيه ..

ليس هناك تحليل آخر.. وسجلت فى مذكراتى :

« الرغبة فى الانتقام من الأب .... »

ولكن لماذا يريد أن ينتقم من أبيه ؟

الجواب فى طفولته ..

ويجب أن يكتشف عصام الجواب بنفسه ..

وبعد يومين دق جــرس التليفون فى مكتبى، وسمعت صوت عباس عبدالله يصرخ :

ـــ الأزمة يا دكتور ..

وكان معى مــريض، فاعتذرت له وركبت سيــارتى، وقدتها إلى بيت عبــاس بيه عبـدالله، بأقصى سرعــة أستطيعها.. وأنــا

أتعجب خلال الطريق.. فقد كنت أعتقد أن هذه الأزمات ستتباعد بعد أن أفضى إلى عصام ببعض سره..

ووصلت البيت ..

واستقبلنى صراخ حاد قوى.. كأنه زئير وحش.. ورفعت رأسى فرأيت عصام واقفا فى البلكون، وقميصه ممزق، وهو يصرخ، وقد رفع بكلتا يديه بطيخة فوق رأسه.. وفى لحظة وصولى، ألقى بالبطيخة إلى الشارع، فسقطت قريبة منى.. مهشمة.. وقلبها سائل كالدم ..

الدم ..

لابد أن هناك علاقة بين البطيخ الذى تعود عصام أن يقذفه .. وبين الدم ..

وقفزت درجات السلم قفزا، واستقبلنى الأب ووجهه غارق فى الهلع، وصاح :

— ده قافل الباب على نفسه يا دكتور ..

وصحت وأنا أجرى نحو غرفة عصام :

— اكسروا الباب ..

وتعاون معى اثنان من الخدم.. ظللنا نخبط الباب بأكتفانا، حتى فتحناه.. ودخلت.. وطلبت من الجميع أن يبقوا فى الخارج..

ورأيت عصام يلقى من البلكون، بعد البطيخة، آنية زهر.. ثم عاد إلى الغرفة ليحمل شيئا آخر يلقيه.. وهو يصرخ.. ويصرخ.. واصطدمت عيناه بعينىّ.. عيناه تلمعان ببريق الجنون.. وشعره مهوش فوق رأسه.. وأنفاسه تتهدج..

واستعنت بكل شخصيتى، وأنا أركز عينىّ فى عينيه..

واقتربت منه فى خطى ثابتة ..

ورفع يديه ليضربنى ..

ولكنى ظللت أنظر إليه.. عينـاى فى عينيه.. وأنا أقترب منه فى خطوات ثابتة ..

وفجأة .. وقع على الأرض تحت قدمى، وأخذ يبكى..

هدأ ..

لم يبق منه إلا البكاء ..

وفتحت حقيبتى، وحقنتـه بحقنـة مهدئة.. ثم عـاونتـه على القيام إلى أن أرقدته فى فراشه.. وما لبث أن نام..

وعدت إلى عيادتى ..

وكل مـا استفدتـه، أنى بعد أن أشعـرت عصام بأنى رأيتـه وهـو فى حالـة جنونـه، أصبحت أقوى شخصيـة عليه.. أكثـر سيطرة..

وفى اليوم التالى مباشرة، اتصلت بـه فى التليفون، وقلت له فى لهجة نصفها أمر :

— فوت علىّ يا عصام ..

وقال فى استسلام :

— حاضر ..

وجاء .. ورقد على الأريكة.. وقلت له قبل أن يتكلم :

— اسمع .. انت عارف انك عيان.. كده ولا لا ..

قال فى صوت خافت :

— أيوه ..

قلت :

— علشان تخف لازم تفتكر كل حـاجة حصلت فى طفولتك وانت صغير.. لازم تفتكر.. اعمل كل جهدك انك تفتكر..

قال :

— أفتكر ازاى يا دكتور ؟

قلت كأنى أحاول أن أنومه تنويما مغناطيسيا ؟

— والدتك ماتت إمتى ؟

قال :

— كان عندى ست سنين !

قلت :

— ماتت ازاى ؟

قال :

— ما اعرفش ..

قلت :

— لأ .. انت عارف .. افتكر كويس ..

قال وقد بدأ العرق يتصبب من جبهته :

— ماتت .. ماتت .. ماتت فى حادثة ؟!

قلت :

— حادثة ايه .. افتكر كويس .. انت تقدر تفتكر ..

قال :

— مش فاكر .. يا دكتور .. مش فاكر .. مش قادر افتكر ..

قلت :

— لأ .. افتكر كويس .. كان لون شعرها إيه ؟.

قال وأنفاسه تتهدج :

— شعرها .. شعرها .. كان لونه أصفر ..

قلت :

— وكانت لابسة إيه ؟

قال وكلماته تنطلق بصعوبة :

— كانت لابسة.. قميص.. قميص.. قميص النوم..

قلت :

— كانت واقفة فين.. افتكر.. انت تقدر تفتكر..

قال وعيناه زائغتان، ومزيد من العرق يتصبب على جبينه :

— كانت .. كانت واقفة فى البلكون !

قلت :

— وبعدين ..

قال :

— مش فاكر ..

قلت :

— لأ .. فاكر ..

وسكت .. فقلت فى لهجة آمرة :

— ما تسكتش .. وبعدين حصل إيه ؟

قال ورعب شديد يملأ عينيه :

— وبعدين وقعت ..

ثم صرخ :

— وقعت من البلكون ..

ثم بكى ..

وتركته يبكى إلى أن هدأ.. ثم قلت وأنا أخفف من لهجتى :

— وكنت انت واقف معاها ، مش كده ؟.

قال :

— أيوه ..

قلت :

— وكان والدك كمان واقف معاكم وكان يتخانق مع والدتك .. كانت والدتك زعلانة .

قال :

— أيوه .. تمام .. افتكرت ..

قلت :

— وبعدين لما وقعت بصيت وراها .. مش كده !

وهز رأسه بالإيجاب ، وعدت أسأله :

— شفت إيه .. لما بصيت ؟

وتردد وأنفاسه ثقيلة، كأنه يشدها من بعيد :

— كانت نايمة على الأرض.. ورجليها عريانة.. ورأسها مفتوحة.. ودم.. دم كتير ..

قلت :

— وكان فيه حاجة كمان شفتها ..

قال كأنه يحلم :

— أيوه .. وقعت على عربية بطيخ صغيرة.. العربية انقلبت، والبطيخ انكسر ..

وتنهدت كأنى انتهيت من مأمورية شاقة .. وقلت :

— انت بتحب البطيخ يا عصام ؟

قال بسرعة :

— أبدا .. عمرى ما كلته !

وتركته راقدا على الأريكة وعدت أجلس إلى مكتبى، وأضغط على جبهتى لأريح رأسى.. ثم ناديت عصام ليجلس قبالتى وقلت له :

— عرفت دلوقت ليه بترمى البطيخ من البلكون ..

قال وقد هدأت قسمات وجهه :

— أيوه عرفت !

قلت :

— وعرفت ليه مشيت مع مرات والدك ..

قال وقد عاد جبينه يتعقد :

— ليه ؟

قلت :

— لأنك كنت فاكر أن والدك هو اللى قتل والدتك.. لما وقعت بعد ما كانت بتتخانق معاه، افتكرت ان هو اللى قتلها.. ولما شفت مرات أبوك، عقلك الباطن اتحرك وأقنعك أن أبوك حايقتلها كما.. فحبيت تحميها، وفى الوقت نفسه حبيت تنتقم من والدك لأنك فاكر انه قتل والدتك ..

وسرح عصام بعينية قائلا :

— يجوز ..

قلت :

— وعارف ليه الأزمات دى بتجيلك فى الصيف ؟

قال :

— ليه ؟

قلت :

— لأن الصيف هو موسم البطيخ ؟

قال في هدوء :

— يجوز ..

ثم قام يصافحنى، ويشد على يدى ويبتسم .. ووجهه مرتاح القسمات .. وأنا متأكد أنه شفى ..



الخطوة الثانية

- لاشيء في حياتي كان يدعو إلى القلق.. كل شيء هادىء.. مستقر.. مرح.. وأمي تدللني.. وأبي يعبدني.. وأخي يحبني..

ولم أكن محرومة من شيء .. كل شيء عندي.. حتى حريتي.. إني أذهب إلى النادي وحدي.. وأتعرف بالشبان، وأقدمهم إلى أبي وأخي، ليعيشوا معنا في جو نظيف من الصداقة ..

وليس في حياتي حادث عاطفي.. لم أقع في الحب.. كل ما كان بيني وبين شبان النادي، وأصدقاء أخي.. صداقة.. مجرد صداقة ..

وكان يجب أن أكون سعيدة ..

ولكن.. لا ..

لست سعيدة ..

إني قلقة .. قلقة دائما .. منذ أحسست بنفسي وأنا قلقة.. حتى وأنا صغيرة في السادسة من عمري، كنت أكف عن اللعب مع زميلاتي فجأة، وأنزوي عنهن، وأصمت.. ويطول صمتي.. وصدري يضيق ..

ومنذ بلغت الرابعة عشرة اشتدت بي نوبات القلق.. وأصبحت نوبات أعنف.. كنت خلال هذه النوبات لا أطيق

أحــدا.. لا أطيق لا أمي ولا أخى.. لا أطيق صديقـاتى.. لا أطيق حجرتى.. لا أطيق النادى.. لا أطيـق ثيابى.. لا أنظر إلى المرآة.. ولا أتجمل.. أدور كـالمجنـونة.. وجنـونى صـامت مختبىء فى صدرى.. ويمـر أسبوع أو أسبوعان.. وتهدأ نـوبة القلق.. تهدأ بلا سبب.. أو لسبب صغير.. كلمة قيلت لى.. أو ابتسامة التقيت بها.. فأعود مـرحة هادئة.. وأنت لا تـدرى كم أنا مـرحة.. وكم أستطيع أن أكسب قلـوب الناس.. البنات والأولاد.. كـل الناس يحبوننى عندمـا أكون مرحة هـادئة.. ثم لا تلبث نوبة القلق أن تنتابنى من جديد.. وأنزوى..

وكنت خلال هذه النوبات أحس بطـاقة هائلة تملأ صدرى، وأريـد أن أعبر عنهـا.. أن أنفس عنهـا.. انها طـاقـة أكبر من صدرى.. تكـاد تخنقنى.. ولكنى لا أعرف حقيقـة هذه الطـاقة، ولا أعرف كيف أعبر عنها ..

وعندمـا كبرت أكثر اعتقدت أنى فنـانة.. وربما كـانت هذه الطاقة التـى يزدحم بها صدرى، طاقة فنيـة، فلو استطعت أن أعبر عنها لاسترحت ..

وقد خطـر لى هذا الخاطر لأن فى عـائلتى كثيرا من الفنانين.. عمي موسيقار معـروف.. وخالتى تكتب القصص.. وابن عمى رسام.. وابنـة خالتى تعزف على البيانـو.. وكلهم «مهزوزون» كما كـان أبى يصفهم.. لهم تصرفــات عجيبـة كتصرفـات كل الفنانين.. وربما كـانوا يعـانون القلق، هم أيضـا.. ولكنهم بلا شك أسعـد منى.. لأنـهم يستطيعـون أن ينفســوا عن طـاقتهم الفنية..

أنا فنانة ، إذن ..

ولكن أى نوع من الفن أستطيع أن أعبر بـه عن طاقتى.. هل أرسم.. هل أكتب قصة.. هل أعزف على البيانو.. هل أمثل..

لا شىء..

إنى لم أفعل شيئا من هذا كله..

لم أحاول.. ولم أجد فى نفسى رغبة فى المحاولة..

وبقيت أعانى نوبات القلق..

ثم..

كان لنا صديق يكبرنى كثيرا.. إنـه أقرب إلى سن أبى.. انه فى الثامنة والثلاثين.. وأبى فى الخامسة والأربعين.. وأنا فى السابعة عشرة..

وكنا لا نرى هذا الصديق إلا نادرا.. ولكن كنت أحس كلما التقينا بـه، بنوع عجيب من الراحة.. كان حديثه يفتح خيالى، ويحملنى إلى عالم هادىء ينبض بالحب والحنان.. وكان حديثه فى الوقت نفسه يحرضنى على نزوة الهرب من عالمى إلى عالمه الهادىء الملىء بالحب والحنان..

وكنت مرة أعانى نوبة من نوبات القلق.. وضقت بالبيت.. فذهبت إلى النادى.. وضقت بالنادى.. فخرجت.. وفى طريقى إلى الباب التقيت به..

ونظرت فى وجهه، دون أن أرى شيئا جديدا فيه.. ونظرت إلى شعراته البيض دون أن أحس بأنها أجمل مما تعودت أن أراها.. ثم قلت له دون أن أفكر:

— نمرة تليفونك كام؟

ونظر إلى فى دهشة، وأعطانى رقم تليفونه، وابتعدت عنه بسرعة قائلة:

— حاكلمك ..

وهو ينظر ورائى، وأحس بعينيه فوق ظهرى !

ولم أكلمه ..

مرت ثلاثة أيام لم أكلمه خلالها .. ورقم تليفونه مطبوع فى رأسى.. ولم أكن خلال هذه الأيام أقاومه.. أو أقاوم نفسى.. لم أقاوم شيئا.. كل ما هنالك أنى لم أكن أشعر برغبة فى أن أكلمه..

ثم كلمته في التليفون..

ولم يكن هناك شىء أريد أن أقوله له.. وتركته يتكلم.. تكلم كثيرا.. وكلامه يفتح خيالى.. وأسرح بعيدا.. بعيدا عنه.. حتى أنى لا أعود أسمع كلامه.. ويصيح بى :

— انتى فين يا ناديه ؟

وأرد :

— معاك يا أحمد ..

ثم فجأة أقاطعه :

— باى باى بأه ..

واضع السماعة قبل أن أسمع رده !

ورغم ذلك .. ارتحت من قلقى قليلا بعد أن حادثته.. أحسست أنى نفست عن بعض طاقتى ..

ومر أكثر من شهر قبل أن أحادثه مرة ثانية.. وسمعت صوته :

— انتى فين.. ازاى تسيبينى المدة دى كلها..

وابتسمت فى استخفاف ..

وتركته يتكلم ..

ثم مـر شهران قبل أن أحـادثه مـرة ثالثة .. قبـل أن أشعر بحاجتى لأن أحادثه ..

ثم ..

وكنت أعانى نوبة عنيفة من الضيق .. حادثته.. وقال لى:

— أنا مش حا أقدر أشوفك يا نادية ؟

وقلت بلا إحساس :

— امتى ؟

قال :

— زى ما انت عايزة ..

قلت :

— فاضى دلوقت ؟

قال والدهشة تملأ صوته :

— فاضى !!

وتركت سماعة التليفون .. وارتـديت ثوبى دون أن أنتقيه.. وخرجت دون أن أنظر إلى المرآة.. والتقيت بـه.. ركبت بجانبه فى سيـارتـه.. وتـركته يتكلم.. ولكنـه في هـذه المرة، استطـاع أن يستأثر بانتباهى كله.. استطاع أن يخرجنى من ضيقى.. روى لى حكـايـات أضحكتنى كثيرا.. وروى لى قصصـا مثيرة من حياته.. و .. وضاع قلقى !

وعدت إلى البيت ..

لم أشعر بحاجة إلى اللقاء به مرة ثانية خلال الثلاثة أسابيع التالية.. لم أحادثـه فى التليفون.. ولكنى أحسست بأن ما فعلته كان خطأ.. كانت المرة الأولى التـى أخرج فيها مع رجل دون أن يـدرى أبى وأمى.. ولكن إحسـاسى بـالخطأ أراحنى.. شغلنى

عن ضيقى وقلقى.. لم أعد أتعذب بالضيق من حياتى.. ولكنى أصبحت أتعذب عذابا أخف وطأة، وهو عذاب إحساسى بالخطأ.. ولم أكن أدرى أن الاحساس بالخطأ أقل عذابا من الاحساس بالفراغ.. باللاشىء.. بالضيق!.

وقابلته مرة ثانية.. فى سيارته ..

ثم ..

قابلته فى بيته .. بيت العازب !

وتحدث كما تعود أن يتحدث.. ثم اقترب منى.. ورفع يده يمسح على شعرى فى حنان.. وأنا لا أحس بشىء.. ثم اقترب منى أكثر.. التصق بى.. وأنا لا أحس بشىء.. ثم حاول أن يقبلنى.. وانفلت منه بسرعة، وأنا أقول :

— لا .. بلاش !.

ونظر إلى كأنه يبحث فى وجهى عن جنونى.. ثم تنهد مستسلما وقال :

— بلاش ..

وعاد يتحدث ..

لم يحاول مرة ثانية أن يقبلنى ..

وتركته ، وعقلى كله مشغول بمحاولته لتقبيلى ..

لم أكن أريد أن أقبله.. فعلا.. لم أكن أريد.. لم أكن أتدلل.. ولم أكن خائفة.. ولم يخطر على بالى معنى الخطيئة.. ولكنى، فقط، لم أكن أريد..

ورغم ذلك فإن محاولته تقبيلى شغلتنى.. أثارت فى نفسى نوعا من الشعور الخبيث اللذيذ.. كأنى عذبته.. وتلذذت بتعذيبه..

ومر شهر آخر ..

عدت خلاله إلى مرحى.. ولم أشعر بحاجتى إلى لقائه، ولا إلى حديثه ..

ثم قابلته مرة أخرى ..

ولم يبد دهشته لأنى غبت عنه كل هذه المدة.. لقد بدأ يستسلم لطبيعتى.. لجنونى.. أو أنه يئس من أن يأخذ منى أكثر مما أعطيه.. وكانت هذه هى طبيعته.. لا يأخذ أكثر مما يعطى.. انه حتى لم يحاول منذ عرفته أن يحدثنى فى التليفون.. مهما غبت عنه.. كان ينتظر إلى أن أريده أنا..

وجلس يحدثنى ..

ومرت فترة طويلة، وهو يحدثنى ..

ولا يحاول تقبيلى ..

وثار فى نفسى هذا الشعور الخبيث بلذة تعذيبه.. فاقتربت منه وتركت كتفى يلامس كتفه.. وتركت شعرى يهف على وجهه.. وأنفاسى تتسلل إلى أنفه.. و .. ومد يده يمسح على شعرى.. وأصابعه تطوف على خدى فى لمسات رقيقة.. ثم .. اقتربت شفتاه.. وفجأة .. انفلت بعيدا عنه، قائلة:

— لا .. بلاش !

ونظر إلى نفس النظرة.. كأنه يبحث فى وجهى عن جنونى.. ثم هز كتفيه قائلا :

— بلاش !

وعاد ينظر إلى فى صمت .. واستطرد :

— انتى مجنونة !

قلت فى براءة :

— مجنونة لأنى مش عايزاك تبوسنى ؟

قال :

— لا .. مجنونة لأنك مش عارفة انتى عايزة إيه !

وتركته شبه مصدومة .

انى فعلا لا أدرى ماذا أريد.. ولم أكن أعرف أنى لا أدرى !

ومرت شهور طويلة، وأنا لا أراه، ولا أتحدث إليه ..

وفى خلال هذه الشهور .. تزوجت !!

زوجى فى الثلاثين من عمره.. رجل كامل.. كل شىء فيه كامل.. خلقه.. ومركزه.. وشكله.. ورغم ذلك فعندما تقدم إلى لم أستطع أن أعرف، هل أريده أو لا أريده.. إنى لا أحبه.. قطعا لا أحبه.. ولكن هل أريده، أو لا أريده.. لا أدرى..

ولأنى لا أدرى، تركت الخيار لأبى وأمى.. ووافقا على زواجنا.. وبمجرد أن وافقا صرخت : لا .. لا أريده..

وحاولا إقناعى.. ولكنى صممت.. ويئسا.. وقررا أن يرفضاه زوجا لى.. ولكن ما أن رفضاه، حتى صرخت : لا .. أريده ..

وعادا ووافقا على زواجنا.. وكدت أن أعود لأصرخ لا أريد.. ولكن أبى فى هذه المرة صمم.. ولأول مرة يفرض على إرادته ..

وتزوجت ..

وزوجى لا يعاتبنى .. أنه يرى منى تصرفات غريبة شاذة.. ولكنه يحتملنى.. قلت لك أنه زوج مثالى.. ورجل مثالى.. لايخطىء أبدا.. ولايترك لى الفرصة لأخطىء..

هل هدأت ..

لا ..

نوبات القلق تعذبنى.. هذه الطاقة الهائلة التى تخنق صدرى لاتريد أن تذوب فى شىء ..

وعدت وقابلت صديقنا ..

قابلته وأنا زوجة ..

وتكرر نفس الشىء.. يحاول .. ثم لا شىء !

إنى زوجة شريفة.. لم يأخذ منى أحد ما يأخذه زوجى.. و.. هل أنا شريفة حقا.. لا أدرى !

ولم أعد أقابل صديقنا ..

ربما لأنه فقد سحره فى تخفيف نوبة القلق..

ونوبات القلق لا تنتهى ..

وفى يوم .. كنا فى الاسكندرية.. أقيم مع عائلتى.. وزوجى في القاهرة.. وأحسست بنوبة الضيق.. فخرجت من البيت، ركبت تاكسى وذهبت إلى شاطىء ميامى.. وبينما أنا أهبط السلم، وقعت عيناى على شاب.. ولم أر فيه أكثر من أنى أعرفه من شكله.. أعرفه من بعيد.. واقتربت منه فى خطا ثابتة كأنى فى طريقى إلى مهمة عاجلة، وقلت وأنا أنظر فى وجهه بعينين ثابتتين :

— معاك عربية ؟

ونظر إلى فى تعجب.. ثم وضع يديه فى خاصرتيه، وابتسم ابتسامة مغرورة، وقال :

— أيوه.. أى خدمة ؟

قلت :

— تعال ..

وسرت أمامه.. وهو ورائى.. ثم تقدمنى ليدلنى على

سيارته.. وركبت بجانبة.. وقلت له وأنا أنظر أمامى :

— اسمع.. ما تفتكرش انى بـاحبك.. ولا حتى معجبة بيك.. أنـا زهقانـة.. وعـايزة حـد يسلينى.. وانت أول واحـد قابلتـه، علشان كده ركبت معاك.. اتفضل.. سليني !

وقال وابتسامته تتدلى على جانب شفتيه :

— بس كده .. حاضر !

وأخذ يسلينى ..

واستطـاع أن يسلينى فعـــلا.. أضحكنى.. وروى لى قصـة حياته، فأثار حنانى عليه ..

ثم ..

حاول أن يقبلنى ..

وابتعدت إلى آخر العربة :

— لا .. بلاش !!

وهز كتفيه ، قائلا :

— بلاش ..

وعاد يسلينى ..

انه طيـب.. رغم الاستهتار الـذى يبدو عليه.. ورغـم شباب الخامسة والعشرين الذى يتفجر فى ضحكاته.. طيب!

ولكنه لم يكن كصديقنا الآخر ..

انــه يطلب منى أن أحـادثـه كل يـوم فى التليفـون.. فإذا لم أحدثه.. حدثنى.. اتصل بـى فى التليفون.. وحاولت أن أقنعه أن يكف عن الاتصـــال بى.. ولكنـه لم يقتنع. إنـــه مصمم على أن يتحـدث إلى كل يوم.. ومصمم على أن يمـر أمام بيتى كل يـوم ويزعجنى ببوق سيارته.. وكاد يفضحنى !!

وكنت لا أعطيه أكثر مما أعطيت الآخر..

يحاول تقبيلى .. فأرفض.. فإذا لم يحاول أغـريتـه حتى يحاول .. ثم أرفض وأتلـذذ بمجـرد المحـاولـة.. وأتلـذذ مع محاولته بصده.. وعذابه !

ولكنه لم يكن كالآخر ..

انه لا يكتفى بنزواتى .. يحاول أن يفرض على نزواته ..

وخفت ..

خفت أن أنقاد إلى نـزواته فأخطـو معه الخطوة الثـانية.. أن أعطيه أكثر مما أريد أن أعطيه ..

وشعـور الخوف يلهينى عن قلقى.. ولكن هـذا الخوف بـدأ يثير فىّ نوعـا آخر من القلق.. القلق من أن أكون زوجة خـائنة.. وأنا لا أريد أن أكون خائنة ..

وقلت له :

— لازم نسيب بعض ..

قال فى جزع :

— ليه ؟

قلت :

— لأنى مش عايـزة أخون جوزى.. وانت ما تـرضاش انى أكون زوجة خائنة.. انك لا ترضى بذلك لأختك.. وأنا أختك!

وقال وهو يبتلع ريقه :

— اختى لـو لقت حـد يحبهـا زى ما بـاحبك.. مـاأقـدرش ألومها.. وانتى مظلومة فى جوازك.. إنما مش مظلومة معايا..

وصممت على أن نفترق..

ورفض ..

ظل يتصل بى فى التليفـون .. ويمر علىّ بسيارتـه.. ويلح فى لقائى..

وصرخت.. أحسست فعـلا أنى لا أريـده.. ثم بكيت.. وقلت خلال دموعى :

— حرام عليك ، سيبنى لجوزى !

وقال فى حدة :

— أنا لو سبتك حاتروحى تمشى مع غيرى ..

قلت وأنا أبكى :

— أوعدك أن ده مش ممكـن يحصل.. أنا مش حـلاقى حد زيك.. انما باسيبك لأنى خايفة.. خـايفة ما نقدرش احنا الاتنين نقاوم أكتر من كده ..

وثارت طيبته، وقال وهو يكاد يبكى معى :

حاضر .. خلاص حاسيبك ..

واسترحت ..

هل حقيقة استرحت ؟

لقد مضى أسبوع لم يتصل بى فى التليفون.. ثم بدأت أقول لنفسى إنى جـرحتـه.. مـزقت قلبـه.. قضيت على مستقبلـه.. وربما كنت أكذب على نفسى.. ربما أشفق عليـه من جرحه.. بل كنت أريـد أن أتأكد أنـه مجروح.. ممزق القلب.. كنت أريـد أن أتلذذ بجرحه وقلبه الممزق ..

واتصلت به ..

وتأكدت أنه مجروح.. يقضى ليله سكـران.. ويمزق شبابه وعمره.. وقلت فى حنان :

— خد بالك من نفسك يا ممدوح ..

ثم تركته ..

ومضت ستة شهور أو أكثر وأنـا مرحة.. هادئة.. أعيش مع زوجى.. لا أحبه، ولكنى مكتفية به ..

ثم ..

بدأت نوبات القلق تنتابنى من جديد ..

وعرفت شابا آخر ..

لم أختره.. ولم يثر فىّ أى إحســاس.. ولكنـه كـان أول من وقعت عليه عيناى وأنا أعانى من نوبة جنونى..

ونفس الشىء تكرر ..

ولكنــه لم يكن كـالآخـرين.. لقـد أثـار فىّ الخوف أكثـر من الآخرين.. الخوف من أن أخطو معه الخطـوة الثانية.. أن أنزلق .. كـان خوفى هـذه المرة شـديدا، مرعبـا، يهدد كل دقيقـة من عمرى ..

وكان يصمم على أن يقبلنى ، واحتمل صـدى مرة ومرتين.. ثم حاول أن يقبلنى بالقوة.. فلما قاومت رفع يده وصفعنى ..

صفعنى ..

ثم صفعنى مرة أخرى ..

وصرخت ..

وجريت من أمامه، وأصابعه مرسومة فوق خدى ..

وأحسست وأنـا أجـرى أنى أريـد أن أختبىء.. أختبىء من نفسى.. أختبىء من كـرامتى الممزقة.. أختبىء من جنـونى من خوفى.. خوفى من قلقى وجنونـى.. لقد أحسست ساعتها أنى لا أستطيع أن أستمـر فى هذا الجنـون.. لا أستطيع أن أقف حيث أريد أن أقف.. سأنزلق إلى الخطوة التـالية.. سأفقد كل ما بقى

لى من اعتزازى بنفسى ومبادئى..

وجريت ..

جريت إلى زوجى ..

أعترف له ..

أعترف له بكل حياتى .. وقلت له أنى لم أخنه ..

وكنت أنتظر منه أن يقول لى أن ما فعلته هو الخيانة.. ان التجائى إلى غيره خيانة.. حتى لو لم يقبلنى أحد غيره !

ولكن زوجى لم يقل شيئا من هذا ..

قال لى أنه يعرف أنى مهزوزة.. أنى مجنونة.. ولكنه يعرف أنى مخلصة.. وأنى فاضلة.. وأنى لم أخطىء أبدا !

انه يثق بى ..

كل ما فعلته .. ويثق بى ..

وصرخت :

— وحاتعالجنى ازاى من جنونى ؟

قال :

— ما حدش يقدر يعالجك.. انت اللي تعالجى نفسك !

وانطويت على نفسى فى حجرتى.. لا أريد أن أرى أحدا.. لا أريد أن أرى نفسى ..

ولكن إلى متى سأبقى فى حجرتى ..

لم أكن أدرى !

●●●

ثم ..

عاد زوجى يوما ، ومعه صديقى الأول.. أول رجل جربت عليه جنونى ..

لقد روى له زوجى كل ما سمعه منى.. رواه له دون أن يحاسبه أو يؤاخذه.. ثم فكرا معا فى علاجى..

واتفقا ..

أتدرى على ماذا اتفقا ؟

اتفقا على أن أشتغل ..

ورضيت أن أشتغل ..

أخذت دروسا فى الاختزال والآلة الكاتبة.. واشتغلت فى شركة ..

أتدرى أيضا ..

لقد شفيت ..

ان عملى كثير.. كثير.. بحيث لا يترك لى وقتا للقلق ..

ولا للجنون ..

ومشكلتى تغيرت ..

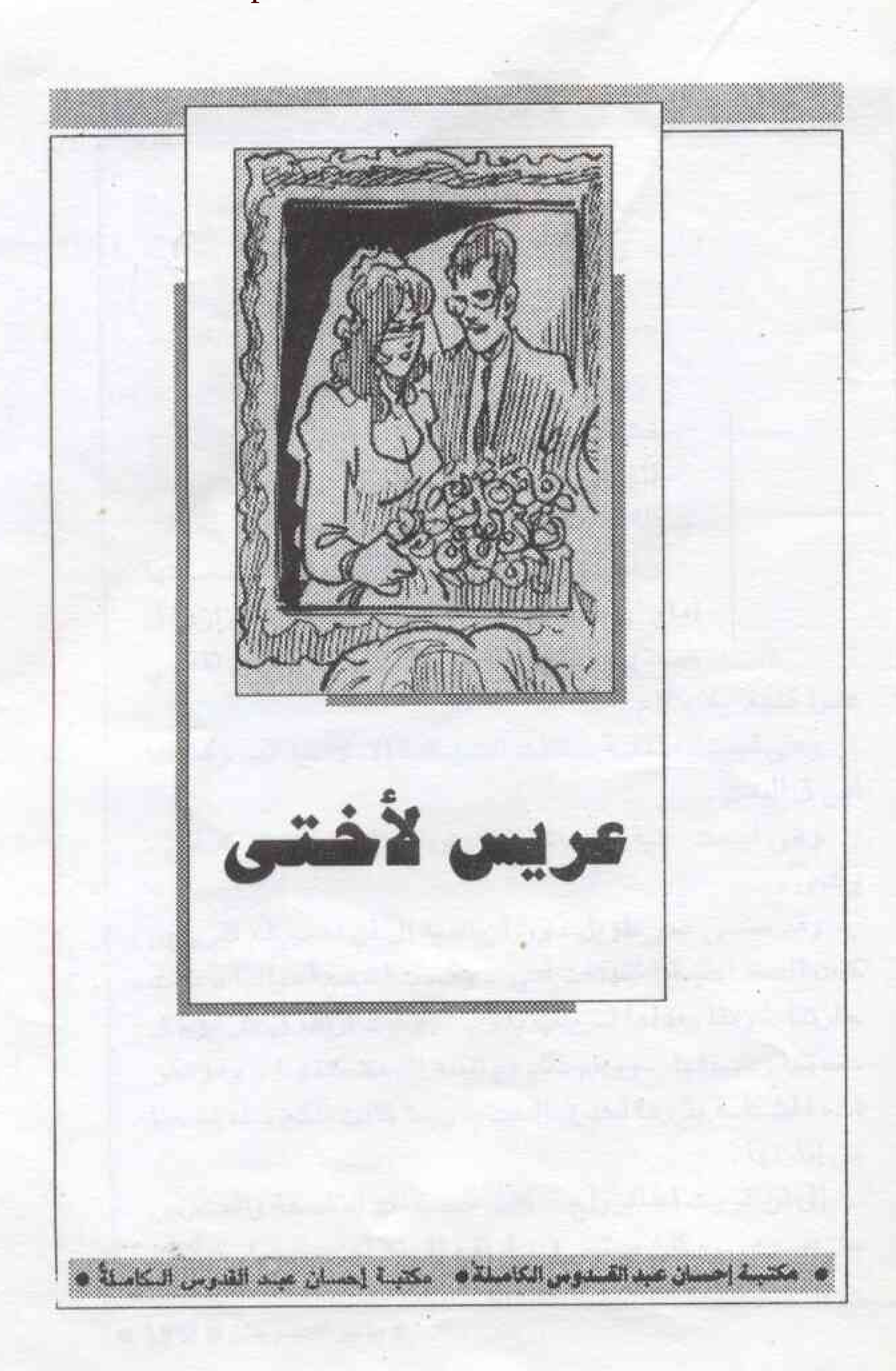
ان مشكلتى الآن هى كيف أوفق بين البيت والشركة ..

وهى مشكلة، أخف من مشكلة التوفيق بين زوجى ورجل آخر ..

وخوفى تغير.. لم أعد أخاف أن أخطو الخطوة الثانية مع الرجل الآخر.. ولكنى بدأت أخاف أن أقف عند الخطوة الأولى فى عملى.. ان أمامى خطوات كثيرة يجب أن أخطوها..

وبالمناسبة ..

إننى حامل ..


عريس لأختى
مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة • مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة

مشكلتى أن أختى لا تتزوج ..

إنها ليست جميلة .. كلنا يعرف أنها ليست جميلة .. وهى أيضا تعرف أنها ليست جميلة .

وهى منطوية .. خجولة .. تهتز شخصيتها أمام أى شخصية تواجهها ، فتخفى اهتزازها فى صمتها .. تصمت طويلا .. تستطيع أن تقضى عمرا كاملا بلا كلام .

وهى ليست مثقفة .. نالت الشهادة الابتدائية ثم وضعها أبى فى البيت ..

وهى ليست غنية .. عائلتنا تعيش يوما بيوم على كد أبى ، وكدى .

وقد مضى عمر طويل دون أن انتبه إلى أن أختى لم تتزوج .. كنت ألحظ أحيانا تنهدات أمى .. وكنت اسمع أحيانا دعوات جارتنا .. ربنا يعدلها لزينب يا رب .. وكنت أراها فى كل يوم فى صمتها وذبولها .. ورغم ذلك لم انتبه إلى مشكلتها .. ولم تكن هذه المشكلة يثيرها أحد فى البيت .. ربما كانت الكبرياء تمنعنا من إثارتها .

إلى أن قررت أنا الزواج .. كنت قد بلغت التاسعة والعشرين من عمرى .. وكان مرتبى قد ارتفع إلى ثلاثين جنيها .. وكنت

قد استطعت أن ادخر فى صندوق التوفير بمكتب بريد شبرا ، ثلثمائة جنيه .. لم يبق إلا أن أتزوج .. وافتح بيتا !

وذهبت إلى أمى وأنا أقفز فى مرح ، وقلت ضاحكا :

— مش حاتجوزينى بأه يا ماما ..

ونظرت إلى أمى فى دهشة ، كأنى فاجأتها ، ثم ارخت عينيها وقالت بلا حماس :

— وماله يا ابنى .. ده حقك !!

وصدمنى برودها .. ولكنى عدت اضحك قائلا :

— إيه رأيك فى بنت عمى .. ولا تفتكرى أن أمينة بنت الجيران أحسن .

وتنهدت أمى فى أسى ، وقالت :

— اختار أنت يا ابنى .. واللى تختارها اخطبها لك ..

ثم فجأة انهمرت الدموع من عينيها .. دموع صامتة كندى الفجر .

وفتحت عينى دهشة .. وصحت :

— مالك يا ماما .. انتى زعلانة علشان حاتجوز .. بلاش .. مش ضرورى اتجوز !

وانطلقت كل دموع أمى ، وارتفع نشيجها ، ثم غطت عينيها بيديها وهى تنوح :

— زينب يا محمود .. كان نفسى ربنا يعدلها لها قبلك .. ييجى لها ابن الحلال .. يا كبدى عليكى يا بنتى .. يا خسارتك فى ركنتك دى يا زينب ..

وانفتحت المشكلة أمامى ، المشكلة التى عشت طول عمرى ، دون أن انتبه لها ..

أن زينب لم تتزوج ..
إنها فى السابعة والعشرين من عمرها ، ولم تتزوج .
وقلت كأنى فوجئت :
— صحيح .. زينب لسه ما تجوزتش !
وقمت من أمام أمى قبل أن اسمع بقية نواحها على زينب .. وذهبت إلى الحجرة ، وفتحت بابها وألقيت نظرة على زينب وهى جالسة تطوى الغسيل ، كأنى أريد أن اطمئن إلى أنها لم تمت ، كما صور لى نواح أمى عليها ..
ثم ذهبت إلى غرفتى ، وانزويت افكر ..
وتجسمت المشكلة أمامى ..
أخذت أسائل نفسى : لماذا لم تتزوج زينب !
لأنك ليست جميلة .. كل بنات الحى اجمل منها .. ورغم ذلك فهى لا تخلو من جمال .. إن العين التى تتعود على البثور التى تملأ وجهها ، تستطيع أن تلمح تحت البثور كثيرا من الجمال .. شفتاها جميلتان .. وعيناها الصغيرتان فيهما هدوء مريح .. وجبينها عال .. وقوامها ، رغم ساقيها الرفيعتين ، قوام متسق .. و .. وأخذت استعرض أختى فى خيالى ، كأنى أراها لأول مرة .. استعرض كل تفاصيل شكلها .. حتى نديها وقف خيالى عندهما .. ثم شعرت بالثورة .. الثورة على نفسى .. كأنى أحاول أن أعرض أختى فى سوق الرجال لعل واحدا منهم يعجبه قوامها ، ونهداها ، وشفتاها المختفيتان تحت البثور ، فيرغب فى شرائها .
ثم أحسست بثورتى تنتقل على أختى .. ما حاجتها إلى الزواج .. لماذا تتزوج مادام لم يقدر لها الزواج .. لقد عاشت

سبعا وعشرين سنة بـلا زواج ، ولن تعجز عن أن تعيش العمر كله بلا زواج .

وخطـر لى خـاطـر سريـع .. إنها تستطيع أن تستغنى عن الزواج بـالعمل .. تستطيع أن تبحث عن وظيفة .. أو تشتغل فى مصنع .. وربما وجـدت بين زملائهـا فى العمل من يتزوجهـا .. و.. ولكنى تذكرت أنها لا تجيد أى عمل .. ولم تتم تعليمها .. ثم أنها كبرت على أن تبدأ حياة جديدة .

وعدت اسائل نفسى : لماذا لم تتزوج أختى ؟

إنها منطـويـة .. إنها لا تخرج من البيـت إلا فى منـاسبـات نادرة، وبصحبـة أمى .. وهى لا تجيد الوقـوف فى الشرفة كما تفعل أمينـة بنت الجيران .. وليس لى أصـدقـاء يـزورونني فى البيت حتى تختلط بهم وتخرج عن ا نطـوائهـا .. إنها منطويـة حتى عنى .. وتـذكرت أنى طـول عمرى .. لم أخـرج معها .. لم أصحبهـا مـرة إلى السينما .. أو إلى زيـارة .. بل إنى لم أجلس معها أبدا لنتبادل حديثـا طويلا .. لأفهمها وتفهمنى .. كان كل ما بينى وبينها أوامـر .. اغسلى القميص ده يا زينب .. حاضر .. خيطى الـزرار ده يا زينب .. حاضر .. عـايز اتعشى يـازينب .. حاضر ..

ولكن ..

مالى وهذه المشكلة .. إنها ليست مسئوليتى أن أزوج أختى.. إنها قد تكون مسئولية أبى وأمى .. أو مسئولية زينب نفسها .. ولكنها ليست مسئوليتى !

وقلبى لا يطـاوعنى .. قلبى تعصره اللهفـة على زينب .. لقـد اكتشفت ساعتها أنى أحبها أكثـر مما كنت اعتقد .. ربما أحبها

أكثر مما أحب أى أخ أخته !

وقلبى يعذبنى ..

ومسئوليتى عن زواج أختى، تتجسم أمامى .. وتتجسم أكثر، وأكثر !

وقد عللت هذه المسئولية .. بأنى لن أستطيع أن أتزوج، إلا إذا تزوجت زينب قبلى .. ولكنى مع الأيام بدأت أنسى موضوع زواجى .. لم أعد أفكر فى زواجى .. كل تفكيرى محصور فى زواج زينب !

ولا أدرى كيف أزوجها ؟

مرت أيام كثيرة وأنا لا أدرى ..

ثم .. فى يوم .. اندفعت إلى حجرتها، وصحت فى مرح وأنا أضع بين شفتى ضحكة كبيرة :

— تيجى تروحى معايا سينما يا زينب ؟

ورفعت زينب عينيها من فوق إبرة التريكو، ونظرت إلىّ كأنها تنظر إلى مجنون، وظلت صامتة كأنها لا تسمعنى .

وعدت أصرخ وأنا لازلت محتفظا بابتسامتى :

— باقول لك أنا عازمك على السينما ؟

وعادة تنظر إلىّ فى بلاهة، قائلة :

— وأنا بتاعة سينما يا محمود يا أخويا !!

وصرخت :

— مش بتاعة سينما ليه .. همَ اللى بيروحوا سينما أحسن منك .. قومى يا شيخه !

وقالت وهى تنزوى فى ركن الأريكة، كأنها خائفة :

— لا .. بلاش يا محمود !!

وعـدت أصرخ .. وظللت اصرخ حتى شددتها من جلستهـا ، وأمرتها أن ترتدى ثوبها ، وتستعد للذهاب إلى السينما !

ووقفت ترتدى ثوبها وهى تبكى ..

تصور .. إنها تبكى !

وأمى تبتسى فى سعادة ..

ونظرت إلى زينب بعـد أن ارتدت ثوبها .. أنه ثـوب حشمة .. حشمـة أكثر من الـلازم .. وأكبر من سنهـا .. ولـونه غـامق .. ورغم ذلك ، ففيه ذوق جميل هادىء .. وشعرهـا تساويه فوق رأسهـا دون مغـالاة ، ودون أن تحاول تقليد آخـر مـوضـات تسريحات الشعر .. ورغم ذلك فشعـرها جميل فـوق رأسها .. ربماكان أجمل ما فيها شعرها .. طويل ، ناعم ، فى لون البندق !

وذهبنا إلى السينما والدموع لا تزال فى عينيها !

كـانت تسير بجانبى ملتصقـة بى كأنها خائفـة .. وجلست بجـانبى فى السينما وهى تميل علىّ ، وسـاقـاها قـريبتـان من ساقىّ .. كأنها تحتمى بى من الـرجل الذى يجلس على الجانب الآخر .. وأحس بأعصابها كلها مشدودة .. وعيناها ترتعشان.. وشفتاها أيضا ترتعشان .

ثم .. خلال عرض الفيلم .. بـدأت أحس بها تستريح قليلا .. تستريح فى جلستهـا .. وتبعد سـاقها عن سـاقى .. وتأخذهـا قصـة الفيلم المعروض ، فأراهـا ـ فى لمحـات خاطفـة ـ وكلهـا مأخوذة .. عيناها مستقرتان ، وشفتاها أيضا .

وخرجنا وهى أحسن حالاً .

وأخذنا نتحدث عن الفيلم .. وجلست معها فى غرفتها بعد أن عدنا إلى البيت ، ونحن لا نزال نتحدث ..

وتعودت من يومها الحديث معها .

إن حديثها ممتع .. إنها تفتح القلب والعقل .. لم أكن اعتقد أنها تملك كل هذا الذكاء .. وهذه الطيبة .. وهذه الروح الصافية الحلوة .. إن شخصيتها عندما تستقر ، تجعل منها إنسانة أخرى .. إنسانة تثق بها .. وتعتمد على ذكائها .

وخرجنا مع بعض عدة مرات .

وفى مرة قابلت أحد أصدقائى ، وترددت قليلا ، ثم قدمتها إليه :

— أختى ..

ومدت له يدا مرتعشة ، وهى تلتصق بى كأننها تخاف منه !

إنها لا تزال تهتز كلما التقت بغريب .

وفى يوم ..

فاجأت البيت كله بأنى قد دعوت أحد أصدقائى إلى الغداء.. وكانت المرة الأولى التى ادعو فيها غريبا إلى البيت .. لم تكن تقاليدنا تسمح بدعوة الغرباء .

واعترض أبى ..

وارتعشت أختى ..

ولكن أمى ، فهمت !!

وانقلب البيت استعدادا للحدث الكبير .. لوليمة الغداء .. وقضت زينب يومين فى المطبخ تعد كل شىء بيديها .. ثم فاجأتها بأنها تجلس معنا على مائدة الغداء .. كلنا سنجلس مع صديقى .. أبى وأمى وأختى .. لقد عودنى هذا الصديق أن يجلسنى مع عائلته كلما دعانى .. فلماذا لا يجلس مع عائلتى .

وازدادت رعشة زينب ..

إنى أرى وجهها يـزداد اصفراراً ، كلما حـان موعـد وصول صديقى ..

وأنا أطـوف بالبيت لأطمئن على الطعام الذى أعـددناه .. ثم لأطمئن على زينب ، وأوصيهـا أن ترتـدى الثـوب الغامق الـذى أحبه .

وجاء صديقى ..

ولم تتكلم زينب كلمة واحدة ..

بردت طول الوقت ، كأنها قطعة من الثلج .

وغالت أمى فى حديثها ، عن زينب .. زينب هى اللى طبخت .. المفرش ده زينب هى اللى شـاغلاه .. زينب ست بيت .. زينب .. زينب .. زينب .. و .. وأحسست بـالحرج .. وأحس صـديقى بالحرج .. والدموع تكاد تقفز من عينى زينب !

وخرج صديقى ..

وبقيت مع زينب بقية اليوم أحـاول أن أشغلها عن نفسها ، أحاول ـ دون أن أصرح ـ أن أقنعهـا بأن دعوة صديقى لم تكن مقصـودة .. إنها إنسـانة رقيقـة .. حسـاسـة .. وكنت أخشى عليها من جرح إحساسها .

ودعوت صديقا آخر ..

وآخر ..

أصدقاء كثيرون دعـوتهم على الغداء ، وعلى العشاء . وادفع مصاريف الدعوات من جيبى .

ولكن ..

لا أحد منهم يتقدم للزواج من زينب ..

ومر عام ..

ولا أحد يتزوج زينب ..

ورغم ذلك استفادت زينب .. لقد بدأت تتعود على مخالطة الناس .. وبدأت تتكلم .. كلاما قليلا مبتورا .. ولكنها تتكلم !

وأنا فى كل يوم ازداد حبا لأختى .. ولهفة عليها .. واقتناعا بأنها تصلح لتكون خير الزوجات .. ولكنى كنت أحيانا أثور على نفسى وعليها .. كنت أحس بضآلتى وأنا ادعو أصدقائى للزواج من أختى .. أحس كأنى اعمل قوادا ، يبيع كرامته وكرامة أخته .. ولكن هذه الثورة لم تلبث أن تنطفىء .. يطفئها حبى لزينب .. ولهفتي على سعادتها .

ولجأت إلى طريق آخر ..

كان لى صديق له أخت .. أخت لا تصلح لشىء .. ربما كانت أقل جمالا من أختى .. ولكنها تمتاز بالخلاعة ، والوقاحة ، والجرأة ، وقلة الأدب !

وذهبت إلى صديقى ، وقلت له أننى أتمنى أن نكون عائلة واحدة .. وإنى أرغب فى الزواج من أخته !!

وهلل صديقى فرحا ..

إنه لم يكن يحلم بأن يتقدم شاب ناجح مثلى للزواج من مثل هذه الأخت .

ووافق فى الحال ..

وافق قبل أن يستشير أخته أو أحدا من أهله .. لقد كنت بالنسبة له ولها ولهم .. لقطة !!

وتظاهرت بالفرح لموافقته .. ثم استجمعت كل جراتى ، وقلت له ، وأنا لا انظر فى عينيه .. إنى زيادة فى ربط الأواصر بين الأسرتين مستعد أن أوافق على زواجه من أختى ، كما وافق

على زواجى من أخته .. أى .. عملية بدل .. خذ أختى وأنا آخذ أختك !

وسكت صديقى ، ثم قال وهو يتلعثم :

— بس أنت عارف يا محمود أنى مش بتاع جواز !!

السافل .. الحقير .. أن أختى تساوى عشر بنات كأخته .. ظفر قدمها بعائلته كلها .

ورغم ذلك رفض ..

رفض البدل ..

ورفضت طبعا الزواج من أخته ..

وكدت أيأس من زواج أختى .

يئست فعلا ..

ومرت شهور طويلة وأنا يائس .. وكلما وقعت عيناى على زينب أحس كأنى أهمّ بالبكاء .. ثم أصبحت أهرب منها ، حتى لا أبكى عليها .

ثم ..

وجدت نفسى فجأة ادخل فى مشروع آخر لتزويج أختى .. مشروع .. دفعنى إليه اليأس !!

كان لى صديق سافل .. كل شىء فيه سافل .. إنه حشاش ، ويلعب القمار ، وسبق أن كتب شيكات بلا رصيد ، وكاد يدخل السجن لولا أن أنقذ بأعجوبة .. وهو كذاب .. نصاب .. يخدع البنات .. كل شىء فيه سافل .. ماعدا شكله .. إنه وسيم .. طويل .. فى عينيه براءة طفل .. ودائما أنيق .. نظيف .. معطر !

وكنت اعلم كل شىء عن سفالته .. رغم ذلك فقد كان هناك شىء يشدنى دائما إليه .. لا أدرى سببه .. ولكنى احتفظت

بصداقته طول عمرى ، رغم التناقض الكبير بين أخلاقه وأخلاقى .

وذهبت لزيارته .. ووجدته فى ورطة .. ورطة كبيرة .. لقد اختلس من خزانة الحكومة مائتين وخمسين جنيها .. واكتشف الاختلاس اليوم ، وسيقدم إلى النيابة غدا ، إذا لم يستطع أن يعيد المبلغ فى الصباح الباكر .. لقد وعده رئيسه ألا يبلغ النيابة إذا أعاد المبلغ .. طاف على الناس طوال اليوم ، ولم يجد أحد يقرضه هذا المبلغ الكبير .. لا أحد يثق به .. وهو يفكر فى الهرب.. ويفكر فى الانتحار .. لقد ضاع .. انتهى .

وأحنيت رأسى وقلت فى هدوء :

— أنا مستعد أجيب لك المبلغ ..

وصرخ :

— بتتكلم جد ؟!

قلت بنفس الهدوء :

— باتكلم جد ..

قال وهو يحتضنى بذراعيه ويقبلنى :

— أنت حتنقذنى .. حتنقذ حياتى .. مستقبلى .. وتأكد أنى فى ظرف أسبوع واحد حارجع لك المبلغ .

قلت فى برود :

— مش عايزك ترجع المبلغ !

وابتعد عنى ، ونظر إلىّ فى دهشة .. وهو لا يصدق أنى - مهما بلغت صداقتى له - استطيع أن أضحى بكل هذا المبلغ ، حتى لو كانت التضحية فى سبيل إنقاذ حياته .

وقال وفرحته تنطفىء :

— قصدك إيه ؟

قلت وأنا لازلت هادئا :

— قصدى أنى حاديك المبلغ ، نظير خدمة تعملها لى !

قال فى حماس :

— أنا مستعد .. آمر .. عايز إيه ؟

قلت فى ثبات :

— عايزك تتجوز أختى !!

قلتها .. ولا أدرى لماذا أحسست أنى على وشك البكاء ، وأنا أقولها !

وسكت صديقى قليلا .. ثم قال فى هدوء :

— يحصل لى الشرف !!

ونظرت فى عينيه ابحث عن الشرف الذى سيناله ، فوجدت عينيه باردتين .. ميتتين !

قلت :

— بكره الساعة تمانية الصبح حاتكون الفلوس عندك !

وقمت لأنصرف ، ولكن خاطرا خطر لى فالتفت إليه قائلا فى ذعر :

— لكن إيه اللى يطمنى إنك بعد ما تاخد الفلوس ، حاتتجوز أختى !

قال بسرعة ، كأنه تعود على أن يشك الناس فى ذمته :

— اكتب لك وصل أمانة .. تقدر تحبسنى بيه فى أى وقت !

واقتنعت .. وعدت أقول له :

— وفيه حاجة كمان .. توعدنى أن ماحدش حايعرف

بالاتفاق بيننا .. خصوصا أختى ..

— أوعدك ..

قلت فى حدة :

— لو عرفت .. مش حاتتجوزها .. وحادخلك السجن بوصل الأمانة .

قال فى ثبات :

— اطمئن ..

قلت :

— ويوم كتب الكتاب .. حاقطع قدامك وصل الأمانة !

وتركته وأنا فى دوامة من أفكارى .. كيف أزوج أختى لشخص أعلم أنه سافل إلى هذا الحد .. ولكن .. أن زواجها من سافل ارحم من عدم زواجها .. إنه يستطيع أن يسعدها لبضعة أيام على الأقل .. يستطيع أن يعيد إليها ثقتها بنفسها .. أن يحل عقدتها .. أن يجعلها تحس أنها امرأة كبقية النساء .. وربما لو استطاعت أن تستعيد ثقتها بنفسها ، تستطيع بعد ذلك أن تطلقه وتتزوج غيره .

نعم .. سأزوج أختى للسافل !!

وفى الصباح التالى ، ذهبت إلى مكتب بريد شبرا ، وسحبت ماادخرته طول حياتى مهرا لعروستى .. لم يبق لى فى صندوق التوفير سوى خمسين جنيها .

واعطيته المبلغ ، وأخذت منه وصل الأمانة .. ثم حددت له موعدا للقاء بعد الظهر .

وجاء فى موعده ..

وصحبته إلى بيتنا .. وقابل أبى .. وخطب منه أختى .. و ..

وارتفعت الزغاريد فى بيتنا لأول مرة .
وأختى فى حجرتها تبكى .. من الفرحة !
وأصبح فهمى يتردد على البيت كل يوم ..
ثم أصبح يتناول الغداء معنا .. والعشاء أيضا .
وأنا أرقب التطورات على أختى يوما بعد يوم .
إنها تتطور بسرعة ..
إنها تتكلم ..
إنها تبتسم ..
إنها أيضا تضحك بصوت عال .

وقد صنعت لنفسها ثوبا جديدا .. ليس غامقا .. أزرق فاتح.. وبلا اكمام .. وتسريحة شعرها تغيرت .. آخر موضة .. ولمعة كالبريق فى عينيها .. حتى البثور التى تملأ وجهها خيل إلىّ أنها تنطفىء .وهى تجلس مع فهمى كثيرا .. وحدهما .. فى حجرة الصالون .. وفى الشرفة .. دون أن تخاف .. ودون أن ترتعش .. وهى تقبلنى كلما عدت من عملى .. لم تكن من قبل تقبلنى .

لقد أحبته ..

أحبته بقدر ابتسامتها التى لا تفتر .. ورنين ضحكتها .. وبريق عينيها .. وحديثها الذى لا يسكت .. وإلحاحها فى الذهاب إلى السينما معى .. ومع فهمى !

وسعدت بسعادة أختى ..
ثم ..
بدأت أخاف ..
أخاف عليها من كل هذا الحب ، عندما تصطدم فى فهمى ..

عندما تعرفه على حقيقته !

واشتد خوفى عليها ..

إن الصدمة ستقتلها ..

ستموت ..

وإن لم تمت ، فإنها ستعيش اشقى مما كانت تعيش ..

يجب أن أنقذها ..

إنى لا أستطيع أن أسوقها إلى مثـل هذا الزواج .. لا أستطيع أن أخدعها إلى هذا الحد .

وترددت ..

فكرت كثيرا ..

وكلما فكرت أكثر ، اشتد خوفى عليها أكثر ..

خوفى عليها من الصدمة ..

وقررت أن أنقذها ..

ناديتها وقلت لها ووجهى ينطق با لمأساة :

— اسمعى .. انتى لازم تعـرفى فهمى قبل مـا تتجـوزيـه .. تعرفيه اكتر من كده .. تعرفيه على حقيقتـه .. لو عرفتيه دلوقت أحسن ماتعرفيه بعدين .. أحسن مـا تتجوزيه وانتى مغشوشة فيه ..

وقالت فى ثبـات ، وابتسامتها المليئـة بالثقة ، تـرقص فوق شفتيها :

— أنا مش مغشوشة فيه ؟

قلت وأنا فى دهشة من ثقتها به وبنفسـها :

— انتى عارفه إنه حشاش ؟

قالت فى هدوء :

— عارفه ..

قلت وأنا لازلت فى دهشة :

— عارفه إنه بيلعب قمار ؟

قالت فى بساطة :

— عارفه ..

وصرخت :

— وعارفه أنه كتب شيكات من غير رصيد وكان حايخش السجن ؟

قالت :

— عارفه ..

وصرخت أكثر ..

— وأظن عارفه أنه اختلس ميتين وخمسين جنيه ؟

قالت :

— عارفه .. وعارفه إنك دفعتهم له .. واشترطت عليه إنه يتجوزنى !

وسقطت فوق المقعد .. دائخا .. يكاد يغمى علىّ .

وسقطت زينب فوق صدرى تقبلنى .. وتربت على وجهى كأنها تفيقنى من غيبوبتى . ثم قالت فى صوت ناعم رقيق :

— أنا باحب فهمى يا محمود ، وهو بيحبنى .. ماحبتوش من أول يوم .. وماحبنيش من أول يوم .. لكن حبينا بعض مع الأيام .. وحبه كبر .. كبر لدرجة أنه اعترف لى بكل حاجه .. اعترف بكل حياته اللى فاتت .. واعترف لى أنه اتجوزنى علشان ينقذ نفسه من السجن .. اتجوزنى من غير ما يعرف أنه حايحبنى ..

لكن حبنى .. وأنـا واثقـة من حبـه .. متأكـدة .. اطمئن ياخويا.. فهمى حـايتغير .. ابتدأ يتغير فعلا .. بطل الحشيش .. وبطل القمار .. وابتدا يحوش عندى علشـان يدفع الفلوس اللى أنقذتـه بيهـا .. تعـرف حوش عنـدى كـام لغـايـة دلقـوت .. خمستاشر جنيه.. وكل شهر حايدفع لك خمسة جنيه .

ولم أصدقها ..

لم أصدق حبه لها ..

إنه نصاب .. ينصـب عليها .. ولا بد أنه يدبـر خطة للنصب عليهـا وعلىّ وإلا لما اعترف لها بكل هـذه الاعترافـات .. أو ربما اعترف لها حتى يسلطها لتسرق منى وصل الأمـانة .. وبعـدها يهرب منها ومنى .

ولكن ..

كيف اقنعها أنه نصاب .. يخدعها !

إنها لن تقتنع ..

حبها يعمى عينيها ، ويطمس عقلها وقلبها !

وفكرت ..

ولمعت فى عقلى فكرة ..

ناديته .. وناديت أختى ، وأخرجت من جيبى وصل الأمانة ، ووضعته أمامه وقلت فى ثبات :

— أنا عـارف إنك حاتتجوز أختى وأنـت خايف إنى أوَديك السجن بالوصل ده .. أنا حـاريحك من الوصل .. لأنى ماحبش أن أختى تتجـوز بالطريقـة دى .. ما اقبلش إنك تتجـوز أختى بـالتهديـد .. أختى أغلى من كـده عندى .. أختى ممكن تتجـوز أحسن واحد .. أتفضل !

وأخذت أمزق وصل الأمانة فى حدة وعصبية .. مزقته قطعا صغيرة .. ثم ألقيت بها تحت قدميه .

وكنت واثقا مما سيحدث ..

سيفرح فهمى ، ويعلن فسخ الخطوبة .. ويجرى ..

وستبكى زينب .. ربما ستبكى أياما .. ولكنها ستفيق من بكائها ، وتحمد الله على إنقاذى لها من هذا الزواج .

ولكن ..

لم يحدث شىء من هذا ..

فهمى واقف أمامى يبتسم ..

وزينب واقفة أمامى تبتسم ..

ثم تقدم كل منهما إلىّ .. وقبلنى فهمى فوق وجنتى .. وقبلتنى زينب فوق وجنتى الأخرى .

ثم قال فهمى فى هدوء :

— بكره حا آجى الساعة أربعة ومعايا المأذون ..

ثم التفت إلى زينب قائلا :

— موافقة يا زيزى ..

وقالت زينب ، والخفر يملأ وجنتيها :

— موافقة يا فهمى !!

ولم يأخذ فهمى رأيى .. كأن ليس لى دخل فى الموضوع !!


البحث عن خيانة
مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة
مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة

نشأت وكل شيء حولي هادىء.. صاف.. أبي يحب أمي.. يعبدها .. وأمي سيدة قوية، اكتسبت شخصيتها من قوة مبادئها، ومن قوة الهدوء الذي يحيط بها.. وأخوتي الصبيان ناجحون، وأنا أحبهم.. الحب في كل مكان من البيت.. في كل كلمة نرددها، في كل لمسة نتبادلها.. وكل شيء نظيف.. لم تطرق باب بيتنا أبدا فضيحة.. أو كلمة خارجة.. حتى اخوتي الشبان، لم يكن لهم نزوات الشبان.. وأنا لم تخطر على حياتي نزوة.. ولم أفكر ابدا في شاب تربطني به عاطفة.. كانت عواطفي مخزونة في دولاب من المبادىء، والتقاليد، والهدوء الذي نعيش فيه..

ولم يهتز البيت إلا عندما استشهد أخي الكبير في حرب فلسطين عام ١٩٤٨.. عرفنا الألم.. وعرفنا الدموع الكثيرة.. وعرفنا الثياب السوداء.. ثم لم يحتمل أبي، فمات هو الآخر..

وكافحنا طويلا لنعيد الهدوء والحب الى بيتنا.. واستطعنا بفضل شخصية أمي أن نتماسك.. ولكن.. كان الموت قد خلف في قلبي جرحا كبيرا.. وجرح قلبي أصبح جرحا في شخصيتي.. أصبحت عصبية.. ملولة. لا استطيع أن أرتاح.. ولا شيء يريحني..

ثم ..

جاءنى عريس ..

لم أكن أعرفه.. ولكنى ماكدت أراه حتى انفتح دولاب عواطفى على مصراعيه.. وأقبلت عليه.. ربما لم أقبل يومها عليه، ولكنى أقبلت على حلم كنت أعيش فى انتظاره.. حلم فى أن أبدأ حياة جديدة.. أن يكون لى بيت استرد فيه شخصيتى الكاملة.. ويملؤه الهدوء والحب.. بيت بلا مشاكل كبيتنا قبل أن يموت أخى وأبى ..

ووقفت أمام مرآتى استعد لزوجى، وابتسم لأحلامى..

إنى لست جميلة ..

إنى أعلم أنى لست جميلة..

ولكنى لست قبيحة ..

إنى متأكدة إنى لست قبيحة ..

إنى سمراء.. متسقة القوام.. وربما كان قوامى أجمل من وجهى .. ولكن وجهى ايضا جذاب.. ابتسامتى حلوة.. كانوا دائما يقولون لى أن ابتسامتى حلوة.. ولكن .. لماذا أتحدث عن جمالى.. أنى أيامها لم أكن أتحدث عن جمالى .. لم يكن جمالى مشكلة.. لم يكن يخطر ببالى أن أتساءل هل أنا جميلة أم لا..

وتزوجت ..

ومرت شهور ..

إن زوجى لا يعبدنى ، كما كان أبى يعبد أمى .. وليس هادئا رقيقا كأبى .. أنه يجعل من الخطأ البسيط مشكلة.. واحيانا يتلفظ بألفاظ خارجة لم أسمعها ابدا فى حياتى .. حتى فى اللحظات التى نختلى فيها.. يقول كلاما أقرب إلى السباب !.

لايهم .. سأروضه.. المهم أن أحتفظ أمامه بكرامتى .. وربما كنت أغالى فى الاحتفاظ بكرامتى، فقد كان يقول لى دائما «قنزوحة».. وكان يشكو من أنى محترمة أكثر من اللازم.. وكنت ازداد تصميما على الاحتفاظ بكرامتى.. كنت أريد أن أكون كأمى.. قوية بمبادئى، قوية بالهدوء الذى يملأ نفسى..

ومرت ثلاث سنوات ..

انجبنا خلالها ولدا وبنتا ..

هل أحببته ؟

لا أدرى ..

ولكنى قطعا أحببت بيتى ، وأحببت أولادى ، وأحببت أن يكون لى زوجا تدور حوله حياتى ..

ثم ..

بدأ يتغير ..

بدأت أرى لزوجى ملامح جديدة.. لم يعد يواظب على مواعيد عودته الى البيت .. أحيانا كثيرة يخرج فى الساعة الرابعة بعد الظهر، ولم تكن هذه عادته.. ثم لم يعد يثور للخطأ ، ولا يبتكر المشاكل كما عودنى .

وقررت أن أتجاهله.. مرت شهور عديدة، وأنا أتجاهله .. ثم لم أعد استطيع أن استمر فى تجاهله، فبدأت أسأله.. كنت فين .. رايح فين.. اتأخرت ليه.. ويرد على .. واتبين الكذب فى رده.. ثم لما كثرت اسئلتى ، لم يعد يكلف نفسه مجهود الكذب.. اصبح يرد فى صرامة.. مشغول.. رايح مشوار.. وصرامته تخيفنى.. أخاف أن اتحداه فيجرح كرامتى.. كبريائى.. شخصيتى التى اقتبستها من شخصية أمى ..

وبدأ يتجاهلني .. هو .. هو الذى يتجاهلنى .. يتجاهلنى كزوجة.. ويتجاهلنى كامرأة.. لم يعد يأخذنى.. وكرامتى تمنعنى أن أشده الى.. واعصابى تتلف.. وبيتى يخنقنى.. وأولادى يثيرون فى عينى الدموع ..

أصبحت نصف مجنونة ..

ولكنى مجنونة صامتة، تختزن جنونها فى صدرها..

ثم ..

دق جرس التليفون ..

وسيدة لا أعرفها تقول لى أن زوجى على علاقة بامرأة أخرى ..

وذهلت ..

كنت حتي هذه اللحظة لا أتصور أن هذا يمكن أن يحدث كنت حتى هذه اللحظة لا أتصور أن هناك زوجا يخون زوجته.. ويخوننى أنا بالذات.. أن أبى لم يخن أمى.. وكلمة الخيانة، لم تطرق بيتنا ابدا.. وقصص الفضائح لم تطرق أسماعنا أبدا ..

واستقبلته وأنا أبحث فى وجهه عن آثار شفتى المرأة الأخرى وتهب على ريحه فأشم فيه رائحة امرأة أخرى ..

واكتمل جنونى ..

إنى لا اطيق عينى على وجهه.. ولا أطيق كلمة تخرج من فمه.. ولا أطيق الفراش الذى يرقد فيه بجانبى، كالجثة.. ولا أنام ..

وايقظته من نومه فى منتصف الليل، وصرخت فى وجهه:

ــ انت تعرف فلانة ؟

وهب جالسا من رقـدته كأنه فوجىء، ورمـوش عينيه تهتز مضطربـة كأنه يضرب نفسه بهما ليفيق.. ثم ابتسم ابتسـامة بـاردة.. وانكر .. وأصر على الانكـار.. ثم حـاول ان يحتضننى لعلى اسكت ..

ولكنى تخلصت من ذراعيه، وأخذت أصرخ.. اتهمه !

وهو يصر على الانكار.. ثم سكت.. تركنى أصرخ.. ونام !!

ولكنى لم اسكت ..

أصبحت اتصرف تصرفـات لم تخطر ببـالى من قبل.. أفتش فى جيوبـه.. وأفتش فى مناديله.. وفى قمصـانه.. أبحث عن المرأة الأخرى.. لا أكف عن سؤاله.. وفى مرة قال لى أنه يعرفها معرفة عابرة عندما جاءت الى مقر الشركة فى بعض اعمالها..

ولكنى لم أكتف بهذا الكـلام.. فأخذت أطارده ، بلسـانى .. بصراخى .. بـالجحيم الـذى أصبـه عليـه .. ثم أخيرا انطلق صارخا :

— أيـوه باعـرفها .. وبـاحبهـا .. وحافضل أحبهـا .. وإذا كانش عاجبك أطلقك .

وذعرت ..

لا .. لن ادعـه يطلقنى .. لن أهــزم فى معـركـة أمـام امـرأة أخـرى.. لن اهدم بيتى وأولادى فى سبيل نـزوة رجل .. أننى لا اعرف الطلاق .. أمى لم تقل لى : ما هو الطلاق ؟

وكتمت جنونى، وسكت .

لا .. لم اسكت .. لقــد جعلت من نفسى « بـوليس سرى » يتتبعــه ، ويتقصى أخبـاره .. ولم أكـن أدرى مـاذا أريــد أن اكتشف .. لقد اعترف لى بالخيانـة .. فماذا أريد أن اكتشف أكثر

من ذلك .. لا أدرى .. ولكنى كنت مندفعة وراءه بجنون .. شهوة عنيفة تجرنى لأرى الخيانة بعينى .. عجيبة .. إن الزوجة لا يكفيها أبدا أن تسمع بخيانة زوجها .. ولا يكفيها اعترافه .. إنها تريد أن ترى الخيانة بعينها .. تريد أن ترى ما يصوره لها خيالها المجنون .. تريد أن ترى غريمتها .. تريد أن ترى زوجها وهو يقبلها .. وهو معها فى الفراش .. إنها شهوة مجنونة ، فيها لذة مريضة .. لا أستطيع أن أصفها لك .

وعرفت كل شىء .

عرفت غريمتى .. وعرفت أين تلتقى بزوجى . وعرفت متى يلتقيان .

وفى يوم لم أستطع أن أقاوم .. الشهوة المجنونة سيطرت على . كنت اعلم أنه معها .. ومضت الدقائق وأنا أتصوره بين ذراعيها .. ثم لم أطق .. خرجت .. وأنا لاأرى شيئا أمامى .. وذهبت إليهما .. فى الشقة التى كنت اعلم أنهما يلتقيان فيها .. وضغطت الجرس بيد ترتعش .. كلى ارتعش .. وليس فى رأسى أى فكرة لما سأفعله .. هل سأطلق عليه الرصاص .. هل سأبلغ البوليس .. لم أفكر فى شىء .. وكل ما أريده هو أن أراهما معا .

وفتح الباب ..

ورأيته .. يرتدى البنطلون وصدر قميصه مفتوح ..

واندفعت كا لمجنونة .

ورأيتها .. بثيابها الداخلية ..

أتدرى ماذا حدث بعد ذلك ؟

لقد صفعنى ..

صفعنى أنا ..

المجرم .. الخائن ..

وطردنــى من الشقة .. كأنى دنستهــا .. الزوجــة الشريفة ، دنست بيت الخطيئة .. بيت الحرام ..

وخرجت اتعثر .. وابكى ..

وكرامتى ضــاعت .. ضاعت أمام غريمتى .. وضــاعت أمام زوجى .. وضاعت أمام نفسى .

وعندما تضيــع الكرامة تترك وراءها خيطا مــن الدم الأسود يسمى : الانتقام ..

قررت أن انتقم ..

كيف ؟

سيكون لى عشيــق .. لأقنع هذا الزوج إنــى مرغوبــة .. أنى امرأة إذا أهملها رجل وجدت عشرات الــرجال .. ولأذيب كرامته كما أذاب كــرامتى .. لأخونــه كما خــاننى .. لأصنع له غــريما ، كما صنع لى غريمة .

وسيطرت علىّ الرغبة فى الانتقام .

وضاعــت كل مبادئى ، وكل تقــاليدى ، وكل ما تعلمتــه من أمى . ضاع كل ذلك مع ضياع كرامتى .

وعنــدما عــاد زوجى . صوّر لى الانتقــام أن أكون خبيثــة .. فــاعتــذرت له .. قلــت له أنى كنت مجنــونــة إذ تتبعتــه .. وأنى أرضى بــه زوجــا من أجل الأولاد ، ولأنى واثقــة أنــه يــومــا ماسيترك عشيقته ويعود إلىّ .

وابتسم الزوج الخائن .. وصفح عنى .. تصــور .. هو الذى صفح عنى .. ثم تمادى فى صفحه ، فقبلنى فــوق جبينى .. قبلة كالسم .. كــالنار النجسة .. وأنا اعلــم ما فى قلبه .. إنه يــريد أن

يحتفظ بى كمربية لأطفاله .. بلا أجر !

وابتسمت فى صدرى ، اسخر منـه .. هذا المغفل الكبير .. إنه لا يدرى أنى سأنتقم منه .

وبدأت ابحث عن الـرجل الذى أخون معـه زوجى ، وعيناى تلمعان ببريق مجنون .. بريق الانتقام .

واستعرضت فى خيـالى عشرات الرجال .. وكـان خيالى يقف دائما عند رجل واحد .

إنه كـاتب معروف .. كنت اقـرأ له دائما .. كنت اقـرأ له من صغرى .. وكنت أشعـر عندما اقـرأ له إنـه يخاطبنى .. كلماته الرقيقة تنساب فى أعصابى .. منطقه الهادىء يتسلل إلى عقلى .. جـرأتـه فى ا ختيـار مواضيعـه تجعلنى أشعـر بقـوة عجيبـة تحمينى .

وأنا اعرفه .. اعرفه من صـوره .. والتقيت به مرات عابرة فى الطـريق ، واذكر أنى فى مـرة ابتسمت لـه رغم إرادتى ، فأرخى عينيه ، واحمر وجهه ، ومر بجانبى سريعا .

إنى لم أفكر فيه من قبـل كرجل .. كان كل تفكيرى منحصرا فيما يكتبه .. ولكن لماذا لا أفكر فيه كالرجل .. إنى فى حاجة إليه الآن كرجل ، لا ككاتب !!

وبحثت عن صوره ، وأخذت أطل فيها .

إنـه وسيم .. أنيق .. ولكنه عجـوز.. إنـه يبدو فى الخامسـة والأربعين ، وأنـا لازلت فى السادسـة والعشرين.. لا يهم .. إنـه يكفى للمهمة التى أريده لها .

واغمضت عينى ، ورفعت سماعة التليفون ، وطلبته ..

سكرتيرته تقول إنه مشغول ..

وقفلت السكة فى وجه السكرتيرة .. أحسست أنها أهانتنى.. ولكنى عدت وطلبته ، بعد تردد كبير .

إنه مشغول أيضا ..

وثار فىّ العناد .. يجب أن أصل إليه .. وأصبحت اطلبه كل يوم مرات .. ولم أعد أتردد ، ولا اغمض عينى .

وأخيرا وصلت إليه .

وقلت له أن لدى مشكلة هامة أريد أن أعرضها عليه .

وأراد أن أروى له المشكلة فى التليفون .

لا .. أريد أن أقابلك ..

وحدد لى موعدا فى مكتبه ..

وذهبت ..

ترددت كثيرا قبل أن اذهب .. ولكنى ذهبت .. وربما غاليت بعض الشىء فى اختيار ثوبى .. وربما غاليت فى وضع المساحيق على وجهى .. وجسدى فى المرآة يعجبنى .. وابتسامتى حلوة .

ولم أكن أدرى كيف سأرتكب الخيانة فى مكتبه .. ولكنى شعرت بالخيانة بمجرد أن خرجت من البيت .. شعرت أنى أسير فى طريق الانتقام .. وأحسست بالشوك يملأ الطريق .. وكدت أعود .. ولكن صورة زوجى قفزت إلى خيالى وشفتى المراة الأخرى فوق شفتيه ، ورائحتها تهب مع أنفاسه .. فتقدمت .. سرت فوق الشوك .. فى طريق الانتقام .. طريق الخيانة .

واستقبلنى هادئا .. مبتسما .. وعندما التقت عيناه بعينى ، أرخى عينيه بسرعة وقفزت قطرات الحياء إلى خديه ..

واطمأننت إلى حياته ..

وجلست أروى له قصتى ..

كل قصتى مع زوجى ..

وهـو يستمع فى هدوء وصبر ، يـدفعـانى لأروى مزيـدا من التفـاصيل .. كنت لا أريـد أن انتهـى من قصتى حتى استريح أكثر فى هدوئه وصبره .

وبدأ يقول لى رأيه ..

ينصحنى ..

ولكنى لم أكن استمع إلى نصـائحه .. وجـدت نفسى ابحلق فى وجهـه .. فى عينيه الهادئتين .. فى شفتيه .. ثـم تصورته وهو يرتدى البنطلون وصـدر قميصه مفتوح .. كما رأيت زوجى فى بيت الخيانة .. وتصورت نفسى بمـلابسى الداخلية معه .. كما رأيت عشيقـة زوجى .. وصوتـه الخفيض الكسول ينسـاب فى أعصابى .. يجذبنى إليه أكثر .. ويخيفنى من نفسى أكثر ..

وبـدأت أتمنى أن يكف عن نصـائحـه .. ويبـدأ .. يبـدأ فى مغـازلتى .. ولم أكن أدرى كيف يبدأ الـرجال فى الغـزل .. ربما قال لى كلمة حلوة تغـرينى .. ربما أمسك بيدى وضغط عليها .. ربما .

ولكنه لم يبدأ ..

ظل مستطردا فى نصـائحه لى .. ثم دخلت سكرتيرتـه تنبهه إلى موعد آخر .. إنى أكره هذه السكرتيرة .

وقمت لانصرف ، ومددت له يدا مرتعشة .. أصافحه بها ..

هل ضغط على يدى وهو يصافحنى ..

لا أدرى ..

ولكنى أحسست ويدى فى يده أن بدأت أخون زوجى ..

بدأت انتقم ..

وعدت إلى بيتى وعقلى مشغول به .. وبالانتقام .. افكر فى الخطوات التالية .. كانت الخطوة الأولى لمجرد التعارف .. وكان من المستحيل فى هذه الخطوة أن يغازلنى .. أو يدعونى إليه .. سيحدث هذا فى الخطوة التالية .

وانتظرت ثلاثة أيام .

ثم حادثته فى التليفون .. وقلت وأنا اتنهد فى افتعال :

— أنا تعبانة قوى يا أستاذ .. ولازم أشوفك .. أنت ماتعرفش أد ايه بتقدر تريحنى ..

وتردد قليلا .. ثم قال :

— أتفضلى بكره .. الساعة عشرة ..

وقلت وأنا ادعى السذاجة :

— فين ؟

قال بسرعة كأنه يصد عن نفسه اتهاما :

— فى المكتب ..

قلت وأنا ادعى التردد :

— مش ممكن أشوفك فى حتة تانية .. اصلى باخاف آجى المكتب .. وأنت عارف ظروفى ..

وسكت برهة ، ثم قال :

— مافيش داعى للخوف .. المكتب مكان عام .. ماحدش يقدر يقول عنك حاجة .

قلت :

— لأ .. بلاش والنبى يا أستاذ .. أصل عندك ناس كتير يعرفوا جوزى !

وسمعته يتنهد .. وسكت مرة أخرى كأنه يفكر .. ثم قال بسرعة كأنه يريد أن ينتهى من حيرته :

— أتفضلى فى البيت .. بكره الساعة أربعة !!

وابتسمت ابتسامة خبيثة ، ترضى الغول الذى يسكن فى صدرى .. غول الانتقام ..

إنى أعرف أنه أعزب ..

وسأذهب إلى بيت الأعزب ..

وجرى فكرى وراء كل ما يمكن أن يحدث لى فى شقة الأعزب.. وابتسامتى الخبيثة لازلت أشعر بها فوق شفتى .. ولمعة الانتقام لا تزال تحرق عينى .. ولكن .. بعد قليل .. بدأت أشعر بالخوف .. وبدأت هذه الابتسامة تزايلنى .. وبدأت اللمعة تخبو فى عينى .. ماذا تفعلين يا مجنونة .. أين مبادئك .. أين تقاليدك .. أين ما علمته لك أمك .. وأولادك .. وكرامتك .. وبيتك .. لا .. لا .. لن اذهب إلى شقة الأعزب .. لن اذهب .

ورميت نفسى فوق السرير ..

وبكيت ..

بكيت كثيرا ..وغسلت أعصابى بدموعى ، فهدأت قليلا .. وازددت تصميما على ألا اذهب .

وفى المساء ..

عاد زوجى ..

وكنت أريده أن يكون رقيقا عطوفا ، ولو لهذه الليلة فقط ..

كنت أريـــد أن احتمى بــه .. أن يعيـــد إلىّ قـــوتى .. واحترامى لنفسى.. وكرامتى ..

ولكنه عاد ، ورائحة الكأس تفوح من فمه .

وخلع ثيـــابـه ، وألقى بقميصــــه على الأرض .. وبحلقت فى القميص .. وصدمتنى بقعة حمراء كجمرة النـــار ، فوق الياقة .. شفتيها .. شفتى غريمتى .

والتقطت القميـص من على الأرض ، ووضعـت البقعـــــة الحمراء أمام عينيه ، وأنا اصرخ :

— إيه ده ..

ونظر إلى وصمة الشفتين باستخفاف ، وقال :

— يا شيخة .. ولا يهمك .. اصل .

ولم اتركه يتم حديثه ، قاطعته وأعصابى كلها تصرخ :

— أنت كنت معــاهـــا .. كنت معــاها دلـوقت .. المجـرمــة .. الســافلــة .. أنـــا عــارفــة أنها ســابــت الأحمر فــوق قميصك مخصوص ، علشان تغيظنى .. علشان تجننى .. و ..

وصرخ فى وجهى :

— احنا حانرجع للسيرة دى تــانى .. ما كنا خلصنا .. مش تحمدى ربنا انى بارجع كل ليلة .

وسكت ..

وعيناى مركزة على وجهه .. كأنى أحاول أن اقتله بهما ..

وأدار لى ظهـره .. ورقد فى الفـراش .. نــام .. وارتفع شخيره المزعج .. وكأن شيئا لم يحدث لى .

إنه يستهين بعذابى ..

يستهين بكرامتى ..

يستهين بشخصيتى ..

إنه لا يعترف بى كامرأة .. ولا كزوجة .. فقط مربية أطفال !!

وارتفعت الابتسامة الخبيثة فوق شفتى .. هذا المغفل .. إنه لا يدرى أن رجالا أحسن منه يريدوننى .. يشتهوننى .. يحترموننى .. يجرون ورائى .. هذا المغفل الكبير .. إنه لا يعلم أنى على موعد غدا فى شقة أعزب ..

●●●

ووقفت أمام مرآتى فى اليوم التالى ..

امرأة أخرى تقف أمام المرآة ..

واهتممت بانتقاء ثيابى الداخلية .. وشددت فتحت ثوبى بالدبابيس لاكشف عن مساحة أكبر من صدرى .. وتركت خصلة من شعرى تسقط فوق عينى .. و ..

وذهبت ..

لم أكن خائفة ولا مترددة .. كنت أخطو خطوات سريعة كأنى ذاهبة فى مهمة عاجلة .

واستقبلنى وهو مرتد بدلته الكاملة ، وبين شفتيه ابتسامةهادئة ، وفى عينيه نظرات لا تدل على شىء مما أريده .

واجلسنى فى مقعد كبير مريح .

وجلس قبالتى فى مقعد كبير آخر ، وهو يقول :

إيه اللى حصل ؟

وبدأت اكذب عليه . قلت له أنى افكر فى الانتحار ..وافكر فى الهرب .. و .. و ..

وهو يستمع إلىّ فى صبر ، ويرد علىّ فى هدوء !

وطال حديثنا ..

وأنا لا استمع إلى ما يقوله . ولا إلى ما اقوله أنا .. إنى فى انتظار أن يبدأ .. يجب أن يبدأ بسرعة .. انى لا استطيع أن انتظر أكثر من ذلك .

والوقت يمر !

ولا شىء يحدث !

ورفعت طرف ثوبى قليلا عن ساقى ، كما اقرأ فى القصص ، لعلى اشجعه .

ولكن لا شىء يحدث ..

وقلت له :

— تعرف أنك طول عمرك عاجبنى .. مش بس عاجبنى ككاتب .

ولكنه تجاهل ما اعنيه !

لا شىء يحدث ..

إنه لا يبدأ ..وفجأة .. وبلا وعى منى .. انتفضت من على مقعدى .. وانحدفت عليه .. وشفتى فوق شفتيه .

وأحسست بشفتيه صامتتين بين شفتى .

إنه لا يبادلنى قبلتى ..

لا يحيطنى بذراعيه ..

ولا يحاول أن يأخذنى ..

وازاحنى من فوق صدره برفق وهو يقول بصوت مخنوق :

— آسف .. أسف قوى ..

وعندما أزاحنى سقطت تحت قدميه ، ولا زلت متشبثة به .. لازلت أريده أن يساعدنى .. أن يدفعنى الدفعة الأخيرة فى الطريق الذى اخترته .

ولكنه أبى ..

وازاحنى اكثر ..

وقام واقفا .. وأنا راكعة على الأرض ودموعى تذيب الكحل من عينى .. وقال كلاما كثيرا .. ربما كان يقول لى إنه يعرف اننى أريد أن انتقم من زوجى .. وأن الانتقام لن يريحنى ، لأنى فى الواقع انتقم من نفسى .. تكلم كثيرا .. ولكنى لم اكن اسمع شيئا من كلامه .. كنت ابحلق فيه من خلال دموعى ، ومعنى واحد يضرب رأسى .

إنه لا يريدنى ..

وزوجى أيضا لا يريدنى ..

أنا اذن امرأة لا يريدها الرجال ..

زوجى له حق فى أن يتخذ لنفسه عشيقة .

وظللت ابحلق فيه من خلال دموعى .. ثم صرخت صرخة مجنونة :

— أنت عارف أنت بتعمل فىّ إيه دلوقت .. أنت بتعقدنى زيادة .. أنت بتجننى ..

وحاول أن يتكلم ..

ولكنى لم انتظر لأسمع كلامه .. قمت وخطفت حقيبتى وجريت خارجه .. ورأسى مشتعلة بالنار !

لن أستسلم ..

لن أكون أبدا امرأة غير مرغوبة .

سأجد رجالا يريدوننى ..

عشرات الرجال ..

وركبت سيارة أجرة ، وأخذت ابحلق فى وجه السائق وقفاه.. واطل من نافذة السيارة وابحلق فى وجوه الرجال المارين .. واستعرض فى خيالى الرجال الذين اعرفهم ، واحدا واحدا ..

لم تعد مشكلتى هى الانتقام من زوجى .. لم أعد أريد الخيانة لأنتقم .. ولكنى أصبحت أريدها إثبت لنفسى إنى امرأة مرغوبة ..

و ..

ولا أطيل عليك ..

لقد خنت زوجى ..

خنته مع أحد أصدقائه ..

ارتكبت جريمة الخيانة كاملة ..

وكانت سهلة ..

كان يتردد على البيت .. وكان من الصنف العابث الذى لا يكف عن حديث مغامراته .. ثم شجعته بعينى .. وتركته يتصل بى بالتليفون .. ثم .. لم يرفض شيئا مما قدمته إليه .

ولكن ..

لعل هذا الرجل سهل .. رمرام .. لعله لم يكن يريدنى كامرأة .. ولكن لمجرد إرضاء غروره ، واذلال صديقه الزوج .

وبحثت عن رجل آخر ..

وثالث ..

ورابع ..

واهرب من كل خيانة .. لأبحث عن أخرى .. خيانات أشبه بحقن المورفين .. تمرضنى .. وافيق منها لأبكى .. ثم لا تلبث

أن تعاودنى عقدتى .. عقدة الإحساس بأنى امرأة غير مرغوبة .

ولم أعد اهتم بزوجى ..

إنه يريدنى مربية أطفال ..

وأنا أريده مجرد زوج ..

وكلانا لا يقـوم بواجبه .. لا أقوم بواجبى كمـربية أطفال .. ولا يقوم بواجبه كزوج .

وصدقنى أنى لم أعد أحقد على زوجى ..

أتدرى على من أصب حقدى .

الرجل الذى اكرهه ..

الرجل الذى لطخ حياتى بكل هذه الوصمات ..

إنه هذا الكاتب الذى رفضنى ..

زوجى لم يفعل بـى أكثـر ممـا يفعلـه كثير من الأزواج بـزوجاتهم ، وكل مـادفعنى إليه هـو التفكير فى الانتقام منـه .. وقد قـررت أن انتقم وأنا واثقة أنى امـرأة مرغوبـة .. إنى امرأة كاملة .. ولكن .. هذا الكاتب .. انه قاتلى .

هو الذى عقدنى ..

هو الذى دفعنى فى طريق الخطيئة ..

هو الذى سلب منى بقية كرامتى ..

ومن يدرى ..

لعله لو بادلنى قبلتى يومـا .. لو عاملنى كامرأة .. لعلى كنت افقت من جنـونى .. ولعلى كنت اكتفيت مـن الخطيئـة بقبلـة واحدة ، ثم تبت وعدت إلى بيتى ..

ولكنه حطمنى ..

حطم حياتى ..

حطم راحة نفسى ..

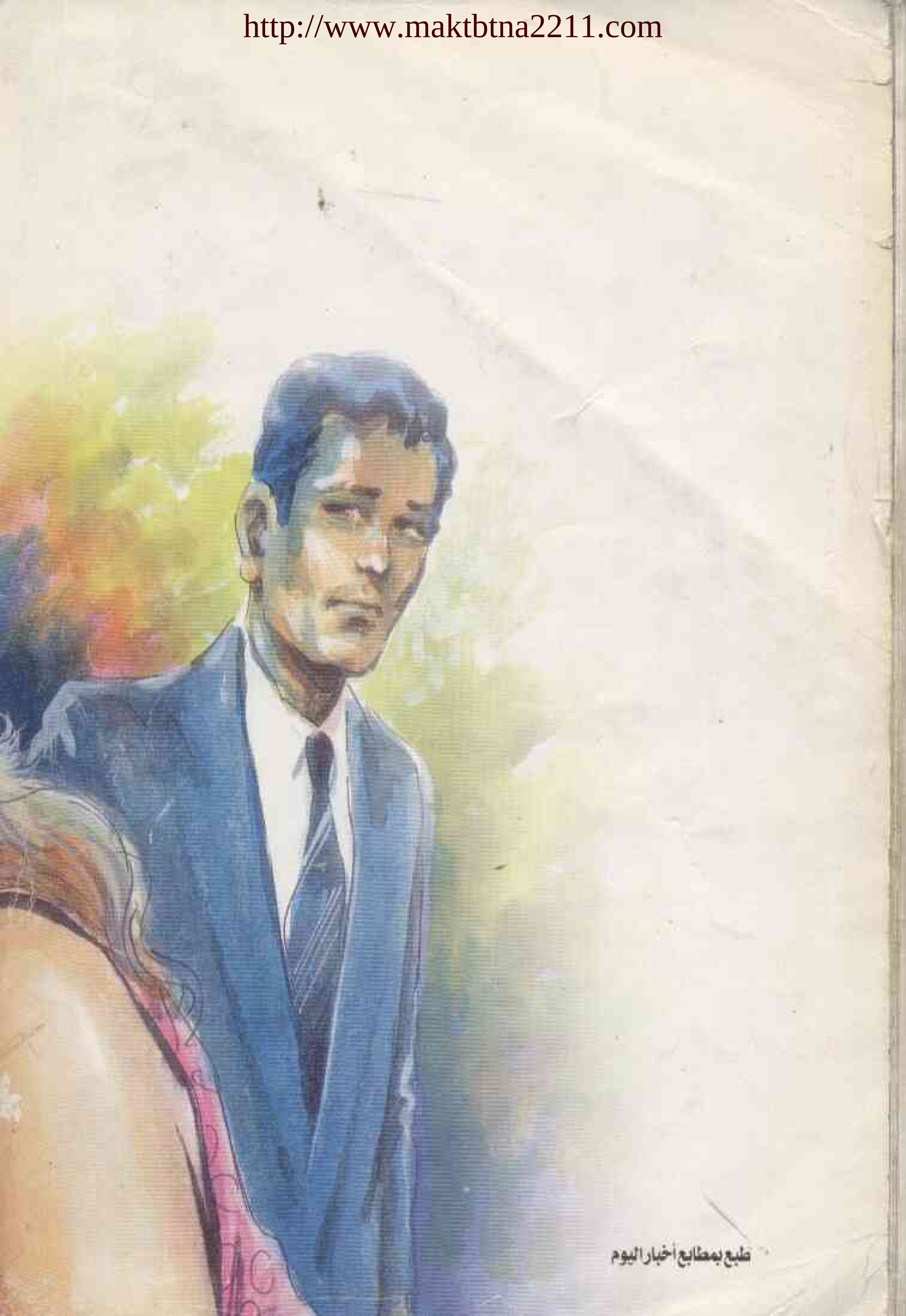
وليلى كله دموع .. ولا أحد بجانبى ، يجفف لى دموع الليل .. وأصحو لتلتقى عينـاى بوجهى ابنى وابنتى .. فأخجل منهما .. لا احتمل أن أراهما .. فأجرى من البيت .. وراء عقدتى !

أتدرى ..

لقـد اتصلت بـالكاتب الكبير أمـس .. بالتليفـون ، وقـالت سكرتيرته ، إنه مشغول !!

الفهرس

رقم الايداع ٨٦٤٣ / ٩٧
I. S. N. B. الترقيم الدولى
977 - 08 - 0658 - 7



طبع بمطابع أخبار اليوم